

## غدا تشرق شمس القرن القادم

تشدافع شعوب الأرض خلال هذه المرحلة إلى عتبات الألفية الثالثة في تاريخها الرّسمي : توقع خطواتها الأخيرة في درب القرن العشرين .. تحت زخّات السّماء وهي تحتشد عند مزاراتها المقدّسة ومحصّياتها الإستراتيجية فيمعراجها الإحتفالي نحو ضفّة أخرى من الزّمن ...

... وهنا نقطة التّقاطع والتّقاطب في مدوّنّة الزّمن ، يمضي الأفل بتقاسيمه وانكساراته واجتياحاته ونبوءاته بين المسقّة والمحقّق .. يمضي طاويا كلّ شروخه يحتوي كلّ دالّه ومدلوله ، وكلّ حقوله المسيجة والمشرّعة يكتشف كلّ أنقاضه وصروحه ، لا يلفظ من إفرازات سادته الإنسان شيئا ..

إنّ الزّمن هو القدر التّاريخي المقتدر الكفيل بأن يكبح جموحنا ويدفعنا إلى صعيد حتميّ وسننيّ يجب أن نقف عنده لردّه للاسترجاع... والإستجماع ، للإستقراء والإستقواء ، لتفكيك المنجز وإعادة الإبتناء بعدّة عقيدة ووزن وثقوبة ...

إنّ هذا القرن الّذي نشهد مغيب شمس قد اغتمست في نهري كبرى الإفرازات الكونية التي غبّرت خرائط الدّنيا وأعادت ترتيب العالم ووّزعت مقدّرات الأرض على وراديهها بقسمات أغلبتها ضيزى !!، وتحرّرت عديد الشّعوب من أغلال الإستعمار لتطفو على السّطح قوى دويّة ووطنية استطاعت أن تبني لكيانها ، مواقع فذّة تحت الشّمس .. وفي غمرة هذا التّدافع والضّجيج التّاريخي .. كان وضنا الأخضر- تونس - الطّالع من عمق التجذّر الحضاري يبشّر بولادة جديدة على مشارف القرن القادم (21) ، ينسّق فجره الدائم محمّلا بوعي استقلاله الوطني الّذي أشّره بمداد شهبائه المقدّس واستبسال أحراره المشركّ خلال النّصف الأوّل من هذا القرن . 1956 . منتشيا بحركة التّحوّل المجيدة 7 نوفمبر 1987 التي غيّرت وجه الأرض بعضا عوسجية نبضها ليس سحرا وليس وحيا موسويا بل هو الإجتراء التّاريخي الفذّ بامضاء قرطاجنيّ ، تونسيّ وعربيّ محض .. وبالإرادة الثورية والعقلانية الثّورية المخصبة التي هيأت لزمن الحصاد الحضاري الوفير ، نقرأ بعيون الأهالي -

صَنَاعَ فِجْرِنَا ، وَفِي عِبُونِ الْآخِرِينَ الَّذِينَ أَبْهَرَهُمْ مِيشَاقُ عَهْدِ الْأَمَانِ وَالتَّحْوِكِ  
الْحَضَارِيِّ النَّوعِيِّ عِنْدَنَا .

نَسُوقُ لَهُمُ الْيَوْمَ بِاِقْتِدَارِ وَهْمَةٍ عَالِيَةٍ كُلِّ مَا تَمَّ تَنْجِيزُهُ إِبداعِيًّا فِي كُلِّ مَا تَفَرَّزُهُ  
حَقُولُنَا وَأَنْسَاقُنَا وَثَرَانَا الطَّيِّبَ .. وَنَقِفُ فِي مَشْهَدِ التَّنَافُسِ الدَّوْلِيِّ وَالتَّنَاصُ  
الثَّقَافِيِّ الْعَالَمِيِّ عِنْدَ مَنْصَةِ الْأَلْعِيَّةِ وَالْحَضُورِ الْمُبْهَرِ بِكُلِّ رَأْسِ الْمَالِ الرَّمْزِيِّ .. وَنَحْنُ  
نَقْتَحِمُ بِاِقْتِدَارِ وَوَعْيٍ هَذِهِ الضَّفَافِ الْعَالِيَةِ بِرُصِيدِ حَضْرِيٍّ مَذْخُورٍ غُلْكَ أَنْ نَحْجِبَ  
بِامْتِيازِ تُونِسِيِّ عَلَى كُلِّ تَحَدٍّ وَنَحْنُتَقِفُ فِي صَعِيدٍ مُتَقَدِّمٍ نَسْتَقْبِلُ الزَّمْنَ الْقَادِمَ الَّذِي  
يَجِيءُ كَاشِفًا آخَرَ مَشْهَدٍ لِلْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ، وَهُوَ الثَّوْرَةُ الْإِتِّصَالِيَّةُ الَّتِي تَعْمَمُ النَّسَقَ  
نَفْسَهُ (الْعَوْلَةَ) فِي ذَاكَ الشَّمَالِ كَمَا فِي هَذَا الْجَنُوبِ رَغْمَ اخْتِلَافِ الْمَوَاقِعِ !! فَقَطُّ إِلَّا  
تَشَابَهُ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ .. !!

وَفِي هَذَا التَّعْمِيمِ غُلْكَ فِي تُونِسِ كُلِّ مَقْدَرَاتِ وَآلِيَّاتِ أَصَالَةِ الْإِبداعِ وَالتَّشْيِيزِ ..  
لَأَتْنَا مِنْ يَنْابِيعِ هَذَا الْمَشْرُوعِ الثَّقَافِيِّ التَّغْيِيرِيِّ الرَّيَّادِيِّ نَوْمَنَ بُوْعِيِّ إِنْسَانِيٍّ أَنْ  
الْإِبداعَ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ وَفِيًّا لِمُحِبَّتِهِ فَاتَّهَ بِشَبْعٍ فِي مَا وَرَاءَ الْبَحْرِ لِكُلِّ الْأَعْرَاقِ  
وَالْأَنْسَاقِ ..

وَفِي زَحْمِ الْمَشْهَدِ الثَّقَافِيِّ الْفَاعِلِ كَمَا نَتَّ وَادَّةُ الْإِنْجِيَابِ ، بِلَوْنِهَا الْمُتَوَاضِعِ  
وَسَحْنَتِهَا الْحَمِيمِيَّةِ وَنَصَّهَا الرَّاكِدَ وَخَطَابِهَا الْمُشْمَرِ وَالْبَهِيَّ الطَّلْعَةَ عَلَى امْتِدَادِ عَقْدِ  
وَنَصْفِ مِنَ الزَّمَانِ .. تَتَوَاصَلُ .. تَصْعَدُ خَطَابُهَا فِي اتِّجَاهِ الْمَسْكَ بِمَقُولَاتِ الْحَدَاثَةِ  
اللِّسَانِيَّةِ مُحَمَّلَةً بُوْعِيِّ الْأَصَالَةِ وَالْإِبداعِ وَالْإِخْصَابِ مُشْرَعَةً عَلَى كُلِّ الْجُغْرَافِيَا  
الْعَرَبِيَّةِ فِي مَذْهَبِ الْقَوْمِي تَنْتَقِي نَظْفَهَا مِنْ نَقْيِ النُّصُوصِ الْقَادِحَةِ وَالْمُتِينَةِ ..  
وَتَسْتَمِرُّ بِهَيْبَةِ الشَّكْلِ فِي أَلْقٍ يَجِيءُ كُلُّ مَرَّةٍ بِحُلِيِّ جَدِيدٍ وَمُضْمُونٍ وَارِفِ  
الظَّلَالِ، دَانِي الْقُطُوفِ مَكْتَنَزِ الثَّمَرِ مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّيْتُونِ وَالْقَمَحِ. وَالْإِنْجَافِ فِي دَرْبِ  
الْوَطَنِ الْجَمِيلِ وَفِي أَفْقِ شَمْسٍ تَغِيبُ وَشَمْسٍ تَشْرِقُ تَعْيِي جَيِّدًا زَمَانِهَا ..

جَاءَ عَنِ الْمَفْكَرِ الْعَرَبِيِّ الرَّكَدَ « عَلِي حَرْب » فِي كِتَابِهِ : « الْإِسْتِيلَابُ وَالْإِرْتِدَادُ  
”قَوْلُهُ : « فَمَنْ لَا يَحْسُنُ الْإِنْخِرَاطَ فِي زَمْنِهِ أَوْ التَّعَامُلَ مَعَ حَاضِرِهِ ، لَا يَحْسُنُ  
اسْتِثْمَارَ مَاضِيهِ وَلَا الْإِسْتِعْدَادَ لِمُسْتَقْبَلِهِ بَلْ لَا يَحْسُنُ سِوَى الْإِرْتِدَادِ نَحْوَ أَزْمَنَةٍ لَنْ  
تَعُودَ أَوْ نَحْوَ أَزْمَنَةٍ لَنْ تَعُودَ أَوْ نَحْوَ أَمَكْنَةٍ لَا تَنْفَكُ تَبْتَعُدُ » .

**التَّحْرِيرُ**

# باردو : تاريخ ومعالم

بقلم : فتحي المحجوب

لقد كان للمؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهّاب إسهاماته القيّمة في التعريف بالعديد من مناطق البلاد التونسيّة من خلال مؤلفاته التي تفخر المكتبة التونسيّة بالإحتواء عليها . ومن هذه البحوث ما أورده في كتابه ورقات عن الحضارة العربيّة بأفريقيّة (1) بخصوص تاريخ باردو ومعالمه التي اندثر بعضها وبقي أهمّها قائما إلى اليوم . وقد تخيّرت من هذا المؤلّف ما كان عليه اعتمادا في تفصيل الأحداث وتحديد المواقع مدعّما ذلك بشواهد ممّا ذكره آبن أبي الضيّاف في كتاب الإتحاف (2) في الموضوع .

يرد لأوّل مرّة في تاريخ تونس اسم «باردو» في مستهلّ القرن التاسع للهجرة . الرابع عشر للميلاد . فقد اختط السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز بن أحمد (3) قصره هناك يحيط به بستان رائق للنزهة والإستجمام . وفي سنة 873 هـ اعتزل السلطان أبو عمرو عثمان (4) حفيد المتقدّم سكنى القصبّة ليحتجب بسانية باردو مدّة عام وثلاثة أشهر بسبب ظهور الوباء الجارف الواقع على تونس في تلك الفترة (5) .

وقد علّق حسن حسني عبد الوهّاب على ما تقدّم بأنّه أقدم ما نعرش عليه من خبر حول باردو . ثمّ يهتمّ بعد ذلك بأصل تسمية المكان بباردو بأنّ الظاهر أنّ القصور التي كانت للأمرأء من بني حفص هناك قد كان باشر بناءها إمّا جماعة من الأسرى الإسبانيّين الذين أمّلكهم قراصنة البحر وقتنذ ، أو جماعة من «العلاج» (6) الذين يكوّنون فرقة عسكريّة مخصوصة في الجيش الحفصي .

والراجع عندي أنّ الإحتمال الأوّل أصحّ . فكلمة باردو في اللغة الإسبانيّة تعني القصر أو التزل الملكي (7) .

وقد بقيت قصور باردو وسانيته مربعا ومنتزها للأمرأء الحفصيين من ذلك الحين

إلى آخر عهدهم (1573 م) .

ثم تواصلت هذه العادة بعد دخول الأتراك العثمانيين إلى عصر البايات من بني مراد . فإن حمودة باشا المرادي (8) قد آعتنى بتشبيد مباني في باردو آتخذها للسكنى والتنزّه . ولم يزل بايات الأسرة المرادية يتعاقبون على المكان إلى أنقراض دولتهم .

ولما آنتصبت الدولة الحسينية على يدي حسين بن علي تركي (9) . وجّه هذا الأخير عنايته إلى البناء والتشييد . فلم يلبث أن آنتقل مع أهل بيته وحاشيته إلى باردو بعد أن أنشأ هناك قصرا فخما وأحيا المسجد القديم (10) بتحويله إلى جامع خطبة ورتّب به قاضيا على المذهب الحنفي مذهب الدولة الرسمي . وفي عهد آبن أخيه الباشا علي (11) ، أدار سورا حصينا على المباني الموجودة وبني برجاً كبيراً (12) .

ويرجع الفضل في تجديد الكثير من معالم باردو إلى الباي حمودة باشا الحسيني (13) . وكذا فعل حسين باي الثاني الذي آبنتى دار للحريم (14) سنة 1247 هـ 1831 م زاد عليها ابنه محمد بن حسين زيادات معتبرة . وفي الفناء الذي حول القصر أنشأ محمود باي بن محمد الرشيد (15) حديقة غنّاء جعل في وسطها كشكا مرونقا بأنواع الممر .

ومن أهم المعالم الهامة المدرسة الحربية بباردو التي فتحت أبوابها يوم 5 مارس 1840 م في عهد المشير أحمد باي . وعن أهداف هذه المدرسة والغايات التي من أجلها أنشئت جاء في الإتحاف (18) : « في غرفة محرم من سنة 1256 هـ . رتّب الباي مكتبا حربياً بباردو . وجعله في صرايته التي آنتقل منها إلى قصره الجديد ، لتعليم ما يلزم العسكر النظامي من العلوم كالهندسة والمساحة والحساب وغيرها ، ولتعليم اللغة الفرنسية لأن أكثر كتبها مدوّنة بهذه اللغة . ورئيسه العالم الماهر الأمير آلاي كالي قارس (19) . وأوّل مدرّس به العالم الأديب محمود قبادو (20) . بحيث يخرج التلميذ عالماً بما يلزمه ضرورة في غير العلوم العسكرية وبما يلزمه من العلوم العقلية » . ومعلوم أنّه تخرّج من هذه المدرسة في ذلك العهد وما يليه كبار رجال الدولة وقبادات العسكر كالوزير المصلح خير الدين باشا



والجنرال حسين (رئيس المجلس البلدي) والوزير رستم (وزير الحربية) وغيرهم .  
وقد استوقفني ما أوردته حسن حسني عبد الوهاب في ورقات (21) من وصف  
جميل وطريف لمواكب الأعياد التي كانت تقام في باردو والتي أضفى عليها  
البايات الحسينيون من الفخامة ما يجدر الحديث عنها والإفادة بها .

يقول الكاتب : وأما ترتيب الأعياد فقد جرت العادة بالإحتفال بليلة العيد .  
يحضرها أهل البيت والحاشية وأعيان البلاد جميعا عشية ليلة العيد في باردو .  
وكذا كبار الفقهاء . فيمد بعد المغرب السماط بأنواع الأطعمة ونفائس الألوان .  
ويجلس الباي في الصدر يحيط به الحاضرون . فاذا طعموا آتسروا . ثم طبقة  
أخرى دون الأولى رتبة وهكذا إلى آخر الحضور . ثم بعد برهة يجلس الباي ببهو  
محاطا عن يمينه وشماله بالفقهاء والكتاب وخواص مجلسه . ويصطف الناس  
صفين متقابلين . وقد أوقدت الشموع وأوتي بالجامر تعبق طيبا ومسكا لا يصنعان  
إلا في تونس ، يحملها المماليك . ولا ينقطع ذلك إلى تمام المجلس . ثم يأتي دور  
المغنين من الشراك مصطحبين آلاتهم . بعده ينهض الباي إلى محل خلوته مرفوقا  
بأهل سمره . فيخلع عليهم بفيض إحسانه في حين تضرب فرقة عسكرية النوبة  
الثمانية كامل الليل

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وفي صباح العيد يتقبل الباي تهاني أعضاء دولته وأعيان الناس . فاذا  
انقضى سلامهم ، وضع له كرسي بأعلى درج القصر لي شاهد البهلوانات يتصارعون  
أمامه وهي عادة تركية قديمة .

وقد ذكر آين أبي الضيفان في الإتحاف أن أحمد باي أبطل الترتيب المعتاد  
ملوك الإيالة في لبالي الأعياد سنة 1254 هـ . وذكر ذلك الوزير حمودة بن عبد  
العزیز في كتابه الباشي .

وفي عهد الإستقلال تحوّل قصر باردو إلى مجلس نيابي فأصبح بذلك رمز السلطة  
التشريعية ببلاذنا . وقد أضاف عهد التغيير المبارك إلى تلك المعالم معلما حديثا  
يرمز إلى تطور المؤسسة التشريعية في بلادنا عبر توفير فضاء جديد ملاصق للمبنى  
القديم ومشرف على ساحة باردو أضفى عليها مسحة من الجمالية المتناغمة  
مع العمارة العربية التونسية الأصيلة (وهو المبنى الجديد الذي تقع فيه الجلسات

العامّة للمجلس النّيابي وتدور فيه المداوالات السّنويّة حول ميزانيّة الدولة .  
ولا يخفى اليوم أنّ ياردو أصبحت من الضّواحي الرّكنة بما يتوفّر فيها من  
انتشارو عمراني ومن منشآت ومؤسسات متطوّرة تشهد على القفزة الحضاريّة التي  
تعيشها بلادنا في عهد التحوّل المجيد .

## الهوامش

- (1) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية . حسن حسني عبد الوهاب . القسم الثالث ص 419 . الناشر مكتبة المنار تونس . جمع ونشر محمد العروسي المطوي .
- (2) إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان . أحمد بن أبي الضياف . النشرة الثانية . الدار التونسية للنشر .
- (3) السلطان أبوقارنس عبد العزيز بن أحمد الحفصي ( تولى سنة 1394 م ) .
- (4) السلطان أبو عمرو عثمان الحفصي ( تولى سنة 1435 م ) .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
- (5) جاء في الإتحاف ج 1 ص 237 : وفي أيام هذا السلطان وقع طاعون جارف مات به أربعمئة ألف نفس من أهل المملكة
- (6) إليهم ينسب أحد أبواب مدينة تونس المجاور لباب البنات .
- (7) يوجد حذو مدريد العاصمة الاسبانية مدينة صغيرة تسمى الى حد الآن EL PARDO . وكان الملك شارل كان أنشأ بها سنة 1534 م قصرا يقصده حين يخرج الى الصيد .
- (8) حمودة بلثا المرادي ( تولى سنة 1631 م ) .
- (9) حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية ( تولى سنة 1705 م ) .
- (10) يبدو أن المسجد بناه الأمراء الحفصيون قبل أن يحوله حسين بن علي الى جامع خطبة .

- (11) ثار علي باشا على عمه حسين بن علي واغتلك منه عرش البلاد ( 1740 م ) .
- (12) هدم الفرنسيون هذا السور إبان انتصاب الحماية بتونس .
- (13) حمودة باشا الحسيني ( تولى سنة 1782 م ) .
- (14) هي المبنى المخصص لمتحف باردو .
- (15) محمود باي ( تولى سنة 1814 م ) .
- (16) أحمد باي الأول ( 1837 م ) .
- (17) الاتحاف . الجزء الرابع من 29 . الدار التونسية للنشر .
- (18) الاتحاف ج 4 ص 41 .
- (19) مستشرق إيطالي درس اللغة العربية في الشام وعمل بالعسكرية التركية ثم بتونس من عهد حسين باي الثاني ( 1824 م ) . وضع كتابا عن سيرة نابليون ترجمه تلميذه الجنرال حسين وراجعه محمود قابادو .
- (20) محمود قابادو ولد بتونس الحاضرة سنة 1814 م وتوفي سنة 1871 م . استقر في اسطنبول سنة 1838 م . ثم رجع الى تونس سنة 1848 م وسمي مدرسا للعربية بمدرسة باردو العسكرية . وقد تولى بعد ذلك عدة خطط منها القضاء والفتيا .
- (21) ورقات . ح ح عبد الوهاب . القسم الرابع ص 245 .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

# آحترام الرّصيد الأرشيفي بين ضيق المفهوم وسعة الأفق

بقلم : الأسعد هلالي

من النّادر أن تنتج البشريّة كتاباً جيّداً (...) ومع ذلك فإنّ استمرار  
هذا الكتاب أو تلفه ووقوعه في النسيان خاضع للصدف البائسة ،  
لانغلاق الأفكار المفاجئ لتشنّجات وتعارضات يحكمها التطيّر ،  
إنّ استمراره خاضع حتّى في نهاية المطاف ليد أرهقتها الكتابة  
أو للدبدان والمطر .  
نيتشة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تحفظ الأرصدة الأرشيفية البصمة الأصليّة والأثر الوفيّ للوقائع التاريخيّة ، وهي  
بذلك شواهد على ما أعتمل في مجتمع مامن أحداث سياسيّة واقتصاديّة  
 واجتماعيّة ، وبالجملة شاهدة على الثّقافة في معناها الأنثروبولوجي العام . فهي  
تجمع الوقائع التاريخيّة والفعاليّات الاجتماعيّة التي شكّلتها وتركت أثرها سواء في  
الجانب المؤسّساتي الرّسمي أو في مجال انطباق تلك المؤسّسات أي الأفراد  
والجماعات . وبالأحرى في إنسان ذلك المجتمع بعينه . فنسبة معرفة الماضي وحفظه  
إلى مجتمعهما كنسبة البوصلة أو نجوم السّماء إلى البحارة . فدون معونة  
هذه الدلائل يضلّ البحار ويبقى في عزلة وانقطاع على شاطئ النّجاة . وكذلك الأمر  
بالنسبة إلى شخص مادّي أو اعتباري أو مجتمع بأسره يفقد ذاكرته وينقطع عن  
ماضيه ، فيتردّى في مهاوي الضّياع بفقدان الأصول الشرعيّة لميلاده وتكوّنه .  
في غياب هذه الشّواهد التي تمثّلها الأرصدة الأرشيفيّة في المجتمعات الكتابيّة

أو ما يعادلها في المجتمعات الشفاهية التي تتوارث ذاكرتها كابرا عن كابر روائياً وتجدد إحياء جذورها حكاياً ؛ لا تستطيع مجموعة ما أو مجتمع بعينه أن يحدد أبعاد وجوده في حاضره ولا أن يستشرف ما ستؤول إليه تلك الأبعاد في مستقبله لأنه لا يملك ما يميز به الخيال والوهم عن الواقع والحقيقة في ماضيه .

في البدء ينبغي أن نشير إلى أن الوثائق الأرشيفية لاتضطلع بدور المدين للماضي ولا بدور المدافع عنه . هي تضطلع فقط بدور الشاهد . بعيداً عن أحكام القيمة ووفاء إلى أحكام التحليل الموضوعي . بوصفها ناشئة إما عن أفراد أو عن مؤسسات . فهي أشبه ما تكون بصدى يتردد رجعه من وقائع الماضي وقراراته وعلى مرير الإستفادة والإفادة منه أن يتتبع ذلك الصدى بتقصّ تراجمي لمصدره وتحديد موقعه في سياق الأحداث المزامنة له والمتفاعلة معه والتي تركت أثراً في سياق مواز بالضرورة لتلك الوقائع : أعني ذلك المضاف التوثيقي الذي تمثله مجموعة الوثائق الأرشيفية .

نؤكد في هذا المستوى على أهمية مفهوم السياق : إذ أن وثيقة ما لا تملك أهمية معينة أو وجهة بعينها خارج العلاقات التي تربطها وتوحدّها بمجموعة وثائقية في سياق ما يبرز نشاطها الموضوعية . وذلك ما يبرز وجود مفهوم الرصيد الأرشيفي وما يجعل ضرورة احترامه إحدى الركائز الأساسية والأولية في عمل المشتغلين في مجال حفظ الأرصدة الأرشيفية وتناولها على نحو مادي أو ذهني وجعلها متاحة للمستفيدين منها إتاحة علمية آمنة لا إتاحة وهمية وزائفة محكومة بتغير المزاج وتبدل الصروف وتقلب الظروف ؛ فاحترام مبدأ نشأة الرصيد الأرشيفي هو ما يكسب الوثيقة موضوعية الحجة والشاهد . والبرهان في معناه العلمي الأصيل في مجال بحوث العلوم الإنسانية بصفة عامة إذ أنه يلبس الوثيقة لبوس الموضوعية من جهة أنه لا يتركها معزولة ومنفردة بل يضبط أصولها ويبرز وجودها بتقصّي منشئها الأصلي .

تكتسب هذه الموضوعية المنشودة أصولها من منهجية عمل المسؤول على تنظيم الرصيد الأرشيفي بدرجة فهو يقوم بضرب من الجراحة النفسية ينتزع بفضلها

مزاجه الخاص وتصوراته الذاتية وكل أحكامه المسبقة ليباشر الرّصيد الأرشيفي بصفة حيادية ذلك أنّ نظام تصنيف (الرّصيد الأرشيفي) تفرضه طبيعة الوثائق ذاتها لأنّه في حقيقة الأمر لا يوجد تصنيف ما يوضع بصفة قبلية، وعلى الأرشيفي أن يتقاد إلى (نظام) الرّصيد ذاته " (2) ساعيا إلى احترام منشئه الأصلي بتسمية الرّصيد باسمه لا باسم المواضيع العامة أو الخاصة التي ضمن ذلك الرّصيد . وذلك لضمان سياق إنشاء مجموع تلك الوثائق وهو ما يؤسّس قيمتها الأوكية التي تؤهلها لتكون حجة وسندا برهانيا علميا تنبني عليه كلّ بحوث المستفيدين منه .

وفي مستوى ثان، أي عندما يتاح الرّصيد الأرشيفي إلى المستفيدين منه يتخذ أبعادا أخرى في تناوله وفي طريقة التعامل معه ، هذه الأبعاد وإن كانت تدخل في مجال منهجيات البحوث التاريخية ومبادئ عملها بصفة عامة ، فإنّها لا تحيد عن العقل الأولي ومبادئه التي اضطلع بها المتصرّف في وثائق الأرشيف أي ضمان موضوعية خاصة في تناول الآثار traces التاريخية .

فان كان الأول يسمى إلى التحليل ذاته فقدر انشغاله ليعدّ نسج الحجة التي سيستند إليها المستفيد فيما بعد وخاصة (المؤرخ) : فإنّ هذا الأخير سيعمل (بحكم ما تفرضه منهجية بحثه وهدفه) على وضع سياق نشأة الوثائق الأرشيفية في سياق أعمق وأشمل هو سياق الوقائع التاريخية التي فيها نشأت . متجاوزا بذلك ضيق مبدأ عمل المسؤول عن تنظيم الأرصدة الأرشيفية الذي يكتفي فقط بتنظيم جزء واحد من أجزاء مشهد تاريخي ما في حقبة ما ليشترك للمؤرخ رحابة البحوث الإنسانية التي تتخذ بدورها شكلا خاصا ومتميزا .

فجهد المؤرخ لا يتلخص في إعادة إحياء الوقائع التاريخية بل في إعادة تكوين تسلسل ما ينطلق من الحاضر إلى الماضي مقتفيا آثار الواقعة التاريخية . إعادة التكوين هذه تتلخص في عمل تأليفي هو بالضرورة لاحق عن جهد تحليل الوقائع المدروسة من خلال الوثائق وفي صلب نسجها الخاص . إذ أنّ إعادة تكوين

الوقائع التاريخية لا تكون ممكنة إلا بأعداد سلاسل من الظواهر التاريخية (سلسلة وقائع اقتصادية ، سلسلة وقائع سياسية ... الخ ... ) في حدود ما توفره الوثائق التاريخية مهما كان نوعها . حينئذ تكف الوثيقة عن أن تكون "بالنسبة إلى المؤرخ مادة جامدة يسعى متخللها إلى إعادة بناء ما قام به الناس أو قالوه ، وما مضى ولم يبق منه إلا الأثر ، بل أصبح التاريخ يحاول أن يحدد في نسج الوثيقة ذاته وحدات ومجموعات وسلاسل وعلاقات " (3) .

عمل المؤرخ إذن في إعادة تكوين الوقائع التاريخية له ميزة خاصة ، فهو يسعى إلى الانتقال إلى حاضر ماض مضى . هذه النقلة تحدد نوع الموضوعية في التاريخ وتضبط حدودها وتصوغ آليات عملها . في تمايزها عن عمل المتصرف في أرصدة الوثائق الأرشيفية المذكور سافا .

فمن خصوصية عمل المؤرخ أنه يركب ضربا من التخيل التاريخي يكمن في عملية تمثّل حاضر مضى . هذا الماضي الذي منه انبثقت الوثيقة والذي "تلاشى بعيدا وراءها " فينشئ المؤرخ طاوينا للكتابة التاريخية التي تفصله عن الواقعة التاريخية . مقتفيا آثار الماضي دليله في ذلك الوثيقة من جهة وتخيله الخاص من جهة أخرى . وهنا بالذات تكمن خصوصية عمل المؤرخ . فهذا التخيل التاريخي الجاهد إلى إعادة تماسك نسج المشهد التاريخي المتآكل سيتحرك داخل عقلانية ما يعمل المؤرخ ضمنها . هذه العقلانية ستحدد بشكل ما المنظور الذي يطلّ المؤرخ من خلاله على المشهد التاريخي الذي يسعى إلى تجميعه وحفظ تماسكه ، فهي التي ستحدد على نحو ما أهمية الواقعة التاريخية وستضبط كذلك صيغ الجهاز المفاهيمي التي سيعتمدها المؤرخ إذ كيف له أن يصوغ في لغة معاصرة أسماء مؤسسات وأوضاع انقرضت وولت دون عود ؟ (4) لن يتخلص له ذلك إلا إذا اعتمد نوعا من التسميات الإجرائية يطلقها بتحفظ . فهو لن يكون أبدا في وضع الهندسي أو الفيزيائي الذي يضبط حدود بحثه ويرسم مشارفه ويطلق عليه بذلك تسميات دقيقة ومحددة .

عمل المتصرف في وثائق الأرشيف من جهة ، وعمل المؤرخ من جهة أخرى :  
عملان متضايقان متكاملان من فهم بنية تاريخ مجتمع ما . ولكنهما يوفران من  
جهة أخرى مناسبة لتلبية حاجة نفسية جماعية لشعب ما . ففي كلا المستويين :  
مستوى تنظيم الرصيد الأرشيفي من قبل المختصين في ذلك أو مستوى إحياء ذلك  
الرصيد ونفخ الحياة فيه من جديد من قبل المؤرخين ، يبقى الرصيد الأرشيفي  
الأثر المادي الذي خلفه الماضي والذي يرتقي إلى درجة الميثاق الملموس الذي يضمن  
شبه لقيا فعلية مع الأسلاف ومع آثارهم الماضية ، وذلك عبر ملامسة الوثيقة  
ملامسة حسية في تجربة نفسية نادرة ، تنقطع عن مجرى الأحداث الراهنة  
لتستعيد سياقاً تاريخياً لم ينقرض ولم يولّ إلى غير رجعة بل بهمّ دوماً بالظهور من  
جديد ، لتحيي الحوار مع رسوم الماضي سواء ما درس منها أو ما لم يدرس .

- 
- 1 - فريديريك نيتشه : الفلسفة في العصر النাসاوي الإفرقي . ص 44 - 45 . المؤسسة الجامعية  
للدراسات والنشر والتوزيع بيروت - لبنان 1983 .
- 2 . Bernard Genevières Gilles <Les archives privées> manuel  
d'Archivistique éd Paris SEVPEN 1970 p 401 - 402  
http://Archivebeta.Sakhril.com
- 3 - M Foucault : L'archéologie du savoir éd Gallimard pp 13 - 14
- 4 - Paul Veyne : Comment on écrit l'histoire ? éd SEUIL p 309



## الوثيقة الأرشيفية أو الوجه الآخر لكتابة التاريخ بقلم: عبد الوهاب عبود

( : مهما طمرت الحقيقة في أعماق التراب  
فقطها تنشق التراب وتظهر إلى النور )  
"أميل زولا"

تكسي كتابة التاريخ أهمية قصوى من الناحية المعرفية، وكذلك الحضارية للأمم... إذ بدون تاريخ الأحداث التي عايشها الشعوب في المجالات المتعددة، المخددة لوجودها وتمط عيشها، لا يمكن فهم هذه المجالات ولا صيورها... وطالما أن " مستقبل الماضي هو الحاضر والحاضر هو ملاحق المستقبل ". على حدّ تعبير "أغسطينوس" وجبت ضرورة الإهتمام بالتاريخ وبالتاريخ كعلم لذا تنوّعت أساليب كتابة التاريخ، وتعدّدت بتعدّد المناهج المتعددة، المنبثقة عن المناسبات المتصارعة أحيانا أو المتراكمة والمتداخلة أحيانا أخرى في أنحاء العالم.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إنّ مؤرخي كلّ العصور، اعتمدوا في كتابة التاريخ وتدوين الأحداث على مصادر مختلفة منها على سبيل المثال المصادر الأرشيفية وبالأخصّ الوثيقة الأرشيفية كمعطى مادي شاهد على حقبة معينة، ويحتوي على المعلومة كمادة خامّة لكتابة التاريخ...

كما أنّ هذا المعطى المادي يحتوي على مضمون الحقيقة في سياقها التاريخي، أو الحقّ طالما أنّ الوثيقة الأرشيفية سند إثبات من ناحية أولى، ومصدر للبحث العلمي من ناحية ثانية. وبحكم اختلاف المصادر المتعددة في عملية التاريخ، نتج عن ذلك أن كانت النتائج النهائية محكومة سلفا بما انطوت عليه المصادر من

إمكانات الخطأ والصواب، أو الخلط في الأحداث والأزمنة والأمكنة. فلا غرابة إذا أن نلاحظ أحيانا، كيف يحصل الخلاف بين مؤرخين لحقبة ما أو لحدث ما. إننا نعتقد أن الاختلاف في كتابة التاريخ، جائز بحكم وجود فروق جوهرية في ذوات المؤرخين من حيث التكوين والانتماء الحضاري والإيديولوجي، ولهذا فإن المؤرخ مهما ادعى الموضوعية فإنه منحاز، أو بالأحرى واقع تحت تأثير ذاتيته، هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية فإن المؤرخ يؤرخ لتاريخ الإنسان - عبر فعله وعمله وردود أفعاله وتفكيره وتأثيره وتأثره - وهذا الأخير - أي الإنسان - لا يمكن حصره أثناء الدراسة والتحليل في خانة العلوم الصحيحة أو التجريبية بالمعنى الضيق.

ولكن ما نود التأكيد عليه هو أن الاختلاف المشار إليه فوق، لا يجب من جهة البحث العلمي التزيه أن يطيح بالحقيقة التاريخية كحدث أو واقعة، أو كبنية حضارية بالمعنى الشمولي. وفي هذا السياق، نتساءل وبكل عمق السؤال المعرفي، أي دور قدّمته الوثيقة الأرشيفية للبحث التاريخي والأكاديمي أولا، وكيف أثّرت الوثائق الأرشيفية في مجرى كتابة التاريخ وإعادة كتابته وفق مقاييس شروط البحث العلمي التزيه؟ وإلى أي مدى حققت الوثيقة الأرشيفية الوظيفة الموكولة إليها والمتمثلة في تقديم المعلومة وإنارة الحق، في خضم الحياة اليومية أو في سياق الصيرورة التاريخية.

رغم المحاولات الجريئة الهامة المتمثلة في كتابة التاريخ من منظور علمي، كتوظيف المنهج التجريبي، إلا أن الأبحاث أفضت إلى نتائج لم تكن يقينية كما هو الحال في العلوم التجريبية، طالما أن الظاهرة التاريخية - الحادثة التاريخية - لا يمكن إعادة تمثيلها كما هي ووفق إطارها الزمكاني، وبلغة أدق إن الظاهرة التاريخية،

تستعصي إعادتها وفق شروطها التي أنتجتها، دون الإساءة إلى جوهر الظاهرة في حد ذاته.

إنّ القول السالف الذكر لا يمنعنا من الإقرار بوجود مؤرخين عظماء، ولنا في تاريخنا أسماء دوّنها التاريخ في سجلّه بأحرف من ذهب، إذ منهم من سبق عصره معرفياً، ونهج منهاجاً موضوعياً وأقرّ بأنّه: "فنّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرخال وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقبال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول..."

هكذا نلاحظ أنّ إدراك التاريخ، وتاريخ الإنسان هو مطلب إنساني وأنّ المعرفة بتاريخ الإنسان، أخذت نسقا تصاعديا، منذ تأسيس الثقافة المكتوبة إذ " لا بدّ أنّ تكون الثقافة الإرتحالية " مشوّهة " - ليس بالمعنى الوصفي، وإنّما بمعنى الدقّة أو الأصالة في الجذور - لأنك في حالة الشكّ، يمكنك أن ترجع إلى الجذور في الثقافة المكتوبة. وبمكنتك لهذا أن تمتلك أسس الدقّة العلمية. أمّا الثقافة الشفهية، فتنتقل من جيل لجيل، وفي لحظة البحث عن الجذور ستتشبّع عن ألف من السنين ( الضائعة ) دون أن تمتلك إلاّ نتيجة ترجيحية. فمن ممّا لم يسمع السيرة الهلالية تروى في كلّ مكان من الأرض العربية، تلك الهجرة البدوية الضخمة من جزيرة العرب حتّى بلاد المغرب والتي امتلكت هالة أسطورية، فأضيف إلى أبطال شجاعات خارقة ومعجزات لم ترو عن الأنبياء؟ تستطيع أن تسمع مائة قصّة هلالية بشكل مختلف وبأسلوب مختلف، ونتعجّب - فيما بعد - من الذي كتب عن تلك الهجرة - رغم حداثة التاريخيّة النسبيّة - يعتمد أساسا على تلك الأساطير المروية عن تاريخهم. ويزول العجب، عندما نعرف أنّه رغم انتشار القراءة والكتابة بعد الفتحوات الإسلاميّة، إلّا أنّ الثقافة الشعبيّة ظلّت شفويّة في غالبيتها، والمكتوب

منها هو (الرسمي) فقط، الذي اعتمد على الفقه واللغة والشريعة والتاريخ المسلم...". نستنتج مما تقدم ذكره أن علم التاريخ في غياب الثقافة المكتوبة والوثيقة الأرشيفية كشاهد حي على مراحل محدّدة لنشاط أشخاص معنويين أو ماديّين يتحوّل - في هذا السياق - التاريخ إلى تصوّر أسطوري ويدخل في ذهنية المخيال أو الخيال الشعبي، وبذلك يفقد علم التاريخ أحد أركانه الأساسية ألا وهي الموضوعية، وتؤول كلّ محاولة في هذا الإطار لكتابة التاريخ إلى بناء ذهني خال من كلّ حقيقة، وهذا ما يفسّر وجود هذا الأنساق في بعض الكتب التي يدّعي أصحابها بأنهم مؤرخون وتطفي الألفاظ المنسوبة للأئمّدين والاتّحاد في كتابتهم، على سبيل المثال لا الحصر وجود بعض الكلمات مثل: "قبل، زعم أحدهم، يروى عن زيد أن عمرو..." أو بعض الألفاظ المحاطة بعدم الوضوح على شاكلة: "على ما أظن، أو العهدة على الراوي".

إذا تبرز الوثيقة الأرشيفية كمنطلق له أهمية قصوى في عملية التأريخ وكتابة التاريخ وبالاخصّ إذا تعلق الأمر بكتابة تواريخ الحركات الوطنية للشعوب... بحيث أن لحظة التاريخ تبدأ منذ بداية الحركات الوطنية بمختلف أشكالها وأساليبها ورموزها، ولكن كتابة التاريخ تأتي لاحقاً، وفي لحظة حصول فراغ وثائقي لحقبة ما أو لفترة ما فإنّ الحقائق تظلمس ويقع اللجوء إلى "الشفوي" أو إلى "القول والقال" أو الأشخاص بقطع النظر عن مواقفهم وعن نواياهم... لسدّ الثغرات أثناء عملية كتابة التاريخ، وهو ما اصطّلع على تسميتهم "شهود العيان". إننا لا نقصد الإساءة إلى أيّ شاهد عيان في أيّ موقع من مواقع المعمورة، ولكن الإشكال الإبيستيمولوجي في كتابة التاريخ يطرح نفسه كالتالي: إلى أيّ مدى يمكن اعتبار شاهد العيان موضوعياً في روايته، هذا من ناحية أولى، ومن ناحية ثانية ومهما كانت شهادته حائزة على "التزاهة" فإننا ندرك جيّداً أن الدليل

المادي الخِرد والمقصود به "الوثيقة الأرشيفية" لا يمكن أن يتم تعويضها بما هو "شفوي" طالما أن عملية التأريخ وكتابة التاريخ لا تستمد شرعيتها ومصادقتها من "الشفوي" بل من المادي، أي أن الوثائق ستكون مجرد وسيلة لا غاية، نقرأ باطنها ولا نتعاضى أيضا عن ظاهرها، نقرأ باطنها في ظلّ حالات الصّراع أي نأخذ جانب الإيجاب والسلب فيها، فنقرأ أيضا نصوص المهزوم لنعثر على ضالتها، فإن لم يكن هذا ممكنا حقا، يكون من الممكن خلق تمثيل له أو تصوّر أقرب للواقع". إن القول السالف الذكر يلوح للعيان في سياق جدل المهيمن والمهيمن عليه، أو في ثقافتى الغالب والمغلوب. "وفي لحظة قراءة الوثائق ستساوى بالطّبع كلّ الوثائق، وإن كانت في الحقيقة غير متساوية لأنّ فعل القراءة يجعلها أخيرا متساوية بغضّ النظر عن الكيفية التي تركها بها الأقدمون لنا". "والوثائق التي ندينها بالكذب هي في الغالب الوثائق التي لم نعرف قراءتها". على حدّ تعبير "هورس".

علينا إذا أن نكون متواضعين في تقويمنا ونتائجنا فلا نحمل الوثيقة الأرشيفية - كمرجعية في عملية التأريخ وكمصدر يتحدث في الأساس عن تاريخ تكون ما لا يمكن أن تصحّله.

هكذا نلاحظ أن فعل الكتابة عن تاريخ تكون يستدعي بالضرورة توفّر المعطى المادي ألا وهو الوثيقة الأرشيفية حتّى تستقيم كتابة التاريخ وفق منهج علمي، إن غياب المصادر التاريخية بشكل عام والوثائق الأرشيفية بشكل خاص، يبيح للكثيرين من البهانة، اللجوء إلى افتراضات وتخمينات، لسدّ الثغرات، وبذلك يحتملون الأجزاء، كليات غير قادرة على حملها إطلاقا، إذ أنه من غير الممكن أن تؤدي الجزئيات وحدها إلى نتائج كلية في سياق الصيرورة التاريخية، هذه الأخيرة هي عملية متشابكة لا يمكن أن يسدّ نقص الوثائق فيها بعض الترميمات اللغوية ولا حتّى بعض الترميمات التاريخية، إذ أن محاولة الترميم

تصب في خانة تزييف الوقائع، ويتحول الوعي بالتاريخ في هذا الإطار إلى وعي وهمي وتصور لا تاريخي.

إن الوثيقة الأرشيفية تمكننا من استطاق التاريخ والدخول فيه وبالتالي كتابته سواء بشكل جزئي أو كلي، شريطة أن تتوفر عوامل أساسية، تهدف إلى العناية بالوثيقة الأرشيفية، منها على سبيل المثال لا الحصر، المراجعة المستمرة للنصوص القانونية التي تعنى بالوثائق الأرشيفية، حتى تستقيم عملية الإطلاع على الوثائق وبالتالي تيسر عملية البحث التاريخي أو العلمي، عدم ترك الوثائق الأرشيفية نائمة في الرفوف بل لا بد من معالجتها ماديا ومعرفيا وتحضيرها وإتاحتها للمستفيدين وفق أسس عصرية وعلمية.

حتى تحصل الفائدة وتحقق الغاية التي من أجلها وقع الاحتفاظ بهذه إلى جانب ما ورد ذكره لا بد من العمل على نشر ثقافة المعلومة والتجسس بأهمية الوثائق الأرشيفية كوعاء للمعلومات ومصدر للحقائق التاريخية...

هكذا بلغة "إميل زولا" نتمكن من إخراج "الحقيقة" إلى النور وتزيح عنها الغبار من الرفوف. /.

#### ملاحظة :

• وقع الاعتماد على المصادر التالية:

- 1 المقدمة - ابن خلدون - دار الطليعة - بيروت.
- 2 التاريخ والأسطورة - د. عبد الهادي عبد الرحمن - دار الطليعة - بيروت.
- 3 المصدر السابق.
- 4 المصدر السابق.

# العلاقة الرباعية في أدب البشير التلمودي



بقلم :  
عز الدين الشابي فرحات

يقول البشير التلمودي في إحدى شذراته : (أخطر تورم يصيب الإنسان أن يأخذ أحدا في ذهن الآخر حجما أكبر من حجمه الحقيقي) لذلك سأحاول متابعا أن لا يصاب صديقنا التلمودي بهذا التورم واكتفى بتحديد أوجه التميز في علاقة البشير التلمودي الرباعية مع الآخر ومع الزمن ومع الموت ومع الله . وليس معنى ذلك أنه لم يتحدث باطناب عن جوانب أخرى مثل الحب والمرأة والطبيعة والتراث وغيرها لكن جميع هذه المظاهر الأخرى تعتبر لديه مجرد فروع جزئية لتلك المحاور الأربعة الأساسية التي ذكرتها .

## 1 - علاقة التلمودي بالآخر :

الآخر عند التلمودي هو الإنسان في أروع عظمته والذي يقول عنه في إحدى شذراته : (كل من يتجاهل قيمة الإنسان مآله الخسران) فالتلمودي لا يعتبر الآخر مغايرا أو مكتملا أو منافسا له ولا يعتبره بعيدا عنه فهو كائن منصهر فيه مندمج معه لدرجة أنك تجالسه وتحدث معه فتحس بدفء القرب وتلقائية الزيجة وتعجب من توارد الخواطر بينك وبينه بل تشعر أن البشير التلمودي يسبق إلى ما أردت أن تكتب ولم تكتبه ويسحب من تحتك بساط فكرتك قيل أن تزرع في ذهنك ويحدثك بما احتجز في طرف لسانك وتأخذك سلاسة أسلوبه وسهولة صوغه

فتأنس له وتدخل معه في لعبة (طلع تريح) وفي كل مرة تخسر الطرح ويربح البشير التلمودي (الطرح) فيسكن فيك بدون استئذان وينتشر في أعماقك انتشارا عجيبا ليحدثك بحديث كدت تقوله ويكتب ما كدت تكتبه ويفكر في ما كدت تفكر فيه وتعجب لهذا التمازج لكن سرعان ما تتفطن أن ذلك التراسخ بينك وبين التلمودي هو إحدى مميزاته وهو أول وجه من وجوه الغرابة فيه .

## 2 - علاقة التلمودي بالزمن :

وتستمر بك الحال مع البشير التلمودي فتكتشف له ميزة ثانية موهلة في الغرابة هي الأخرى تتجاوز بها ما عرفته من مواقف بعض المفكرين من الزمن مثل (لامارتين) الذي طلب من الزمن أن يقف قائلا : ما يمكن ترجمته شعريا : (قف يا زمان . كفى سيرا كفى عجلا ..) فالتلمودي يختلف عن غيره لأنه يحول الأمر المجرد الدال عن رغبة وتوق إلى إنجاز ويدخل في علاقة صوفية مع الزمن ليصبح فاعلا والأمر فعلا ماضيا ويوقف الزمن بنفسه ليجعل الحاضر يتضائل أمام ثبات سلطنة الماضي قائلا في إحدى شذراته : (هذا الماضي الذي يسكنني باستمرار من الصحو وزمن النوم) وهو يؤكد استقراره في ذاته ويتمنى لو يخلص من ذلك قائلا (آه لو أعرف كيف أمحوه من ذاكرتي كيف أمحوه من كل مكان .. كيف أصادره إلى جزيرة النسيان) ويشدد ذلك الماضي تشبها في ذات التلمودي فيتمنى لو يقدر (على تحويل دروبنا القديمة إلى صفائح لا تعكس إلا الحاضر) وعندما يتيقن أن الزمن الذي أوقفه دان له بالولاء يفضح مؤكدا أنه مازال طفلا : (مازلت طفلا لا يؤمن بالزمن الهارب .. طفلا يرى الأيام لحظات .. والشهور لحظات .. والأعوام لحظات) (من شذرات بعنوان عذاب الماضي منشورة بتاريخ 1990/5/18

أما التطور فبمعني لديه الكبير لذلك يقول عنه في شذرة نشرت يوم 1991/3/2 : (بأن التطور نوع من العذاب الخفي) ، والبشير التلمودي لا يريد أن يستسلم للزمن كما يفعل لامارتين عندما يقرر في حيرة أن الزمن ليس له ميناء أو ضفاف .. إنه يسير ونحن نمرّ) فالتلمودي يضع للزمن ميناء ويحدّد له المرسى والضياف ويحبسه فيها ويجنح هو في فضاء رحب كافر بالحدود والقيود قائلا في



(همسة إلى امرأة وهمية نشرت يوم 1994/4/2 : (فأنا بقايا رجل قادم من عالم السراب يعيش في عروقي الضباب . أبحث كل يوم عن حلم جديد يصنع من هواجسي أشعة وآفاقا ) .

هكذا يؤكد التلمودي أزليّة الذاكرة والتاريخ ويتوافق مع النظرة التي عبّرت عنها في قصيدة (قف يا زمان) البيت عدد 18 .

### (يفنى الزمان ولا تفنى مآثرنا لولا مآثرنا التاريخ ما كان 3 - علاقة التلمودي بالموت :

التلمودي مصمّم أن لا يعترف بالموت بمثل ما يعترف به المستسلم له الخاضع لحاكميته فهو واثق من أنه ( آخر من سيموت) بل (أول من سيبقى حيا ) ألم يقل : (أنا لا أخاف من الموت لكنني أفضل أن لا أكون هنا عندما يأتي ) . وقد حدثني مرة قائلا : إذا متّ أو خيل لك أنني متّ .. انظر إلي مليا وستكشف أنني أجدّك عن موتي في وعي تامّ وأهمس في أذنك وقلبك قائلا : انظر .. أنا الآن ميّت وككلّ ميّت لا أحرك رجل ولا أسمع ولكنني أتكلّم بصوت لا يسمعه الناس لأنهم تعودوا على الصمت الميّت .. فلو صبروا عليه قليلا وتجرّءوا من مركباتهم وعاداتهم وأصرارهم لاستمعوا لي ورأوا عني العجب العجيب) : التلمودي يتحدث الموت من خلال ذلك الوعي الذي يعيش به الميّت واقعه الجديد فيدخل في تمثيل دوره بثقة وحرص واقتناع كامل وتلك الدقّة وذلك الحرص وذلك الإقناع مظاهر تجسّم ذلك الوعي الذي يصوّره التلمودي في شذرة بعنوان (قرار) يقول فيها (لن أترك طرف الحيط يفلت من يدي حتّى لا أنسى خلودي أبدا ) ويعمن التلمودي في رفض (موتالموتى) بفهمونا نحن فيصرّح في شذرة بعنوان (اكتشاف) نشرت في 1991/3/5 قائلا : (اكتشفت أن هناك موتا آخر غير الذي يعرفه الناس ) ويتمسك التلمودي بالخلود في شذرة بعنوان (معادلة) قائلا : (سأحاول أن أبقى حيا حتّى أحضر يوم ميلادي ) لذلك ظلّ التلمودي بالمرصاد لهذه الغيبوبة التي يريدّها واعية واعدة ، ألم يقل في شذرة بعنوان : (خطأ) : يخطئ من يعتقد أن الراجل ذوق له في اختيار موعد الرحيل ومكان حظّ الرّحال إذ ليس بالحياة فقط يمكن أنتختار ما نرغب فيه ) بل يتجاسر التلمودي في تصوير جماليّة حياة البرزخ

في شذرة بعنوان (روعة) المنشورة في 1991/2/16 : (شيء) رافع أن يعيش الإنسان خارج خليته ويحيا بعيدا عن جسمه) وكأنه يحتفل فيها بظول العسر وإفلاس الموت وإعدام الفناء .

#### 4 - علاقة التلمودي بالله :

يؤمن التلمودي بالله إيمانا لا حد له بل كأنه يتفرّد بنوع خاص من الإيمان المقرون بالحب والإعجاب أكثر من الخوف والجزع ويولي الإيمان مرتبة عالية ، ألم يقل في شذرة (إيمان) نشرت في 1993/4/25 : (السند الوحيد الصلب الواقى من السقوط هو الإيمان أما الطريف في علاقة التلمودي بالله إيمانه بأن الخالق مبرّز بنعمة الخلق وحياء بعنايته ورعايته وهو الصغير الأصغر في عين الله سبحانه وتعالى وهو ذلك الإنسان النكرة الذي لم ينزل عليه وحى ولم تلحق به رسالة ولم يأت في حياته ما يلفت الإنتباه ومع ذلك فقد استخلفه الله في أرضه لذلك يعتبر التلمودي أن هذا الإستخلاف المحض هو أشدّ أوجه الشكر وأجله وقد بحث طويلا عن السبب فلم يجد لذلك مبررا سوى ( صداقته ) مع الخالق جلّ جلاله والصداقة مع الله هتد التلمودي ليست حلاجة تشد الإندماج والتعلق لهذا الذّيان بل هي صداقة نقية تؤسس لمحبة متبادلة لا يمكن أن يصدّر منها إلا الخير والصلاح والرّشاد فالله يحبّ الخير لمحبيه التلمودي ولا يضرة أبدا وبذلك ينفي التلمودي إدراك الضرر عنه ويسلم من التأويل ويفسر الأزمة بالإختلال المؤقت التابع عن سوء فهم من قبله والشر لا معنى له عند التلمودي في حد ذاته فإن وجد ففي غيره من الناس والحوادث فهو محاط بحب الله آمن برعايته مطمئن النفس مرتاحا لضمير سعيد بخلقه .

هكذا يبدو البشير التلمودي من خلال مذكراته طريف المبادرة غريب الأطوار نافذ الفكرة جياش العاطفة غزير المرجعية يستوعب التراكم الزماني ويحوكه بجميع تفاصيله إلى آية لا تقبل الجدل ولا ترضى بالفناء ولا تعرف الكدر فهو يحول الحركة إلى حال والحال إلى آن ولا يصرف الفعل في الماضي بل يصنع من حاضره عالما خالدا يأخذ من كلّ شيء ولا ينسى أو يتناسى شيئا أو يسقط شيئا . تلك هي عبقرية هذا المفكر وتلك هي عظمتة في كلّ ما يكتب منذ أكثر من ثلاثين سنة .

## "مذكرات" إلسا تريولي

ترجمة : عبد العزيز عزيز

كان من الصعب على هذه المرأة أن تكون في نفس الوقت ملهمة وزوجة أحد أعظم أدباء هذا القرن (لويس أراغون Louis Aragon) وكذلك كاتبة روائية مستقلة بذاتها. لقد سخرت "إلسا تريولي" Elsa Triolet حياتها للكتابة التي كانت تعتبرها "فكرتها المتسلطة" على حد تعبيرها، فتركت أثرا أدبيا هاما. لكن هل نجد من القراء من يطالع اليوم كتاباتها مثل وضع في الكلمات (La mise on mots) أو العندليب يصمت عند الفجر Le rossignol se tait à l'aube لقد إقترن إسم «إلسا» الذي حملة زوجها لويس أراغون بأفكار مسبقة فالكل ينظر إليها كمعشوقة مثيرة أو مهاجرة فائتة، إكتسبت شهرة واسعة بفضل زواجها من "أراغون". لقد أخطأ رجال الأدب الحكم عنها وكان من الأجدر أن ننظر إليها "ككاتبة مجهولة" أو وقع تجاهلها. أرادت "ماري تيراز إشارات" Marie - Thérèse Eychart رفع هذا اللبس بنشر "مذكرات إلسا" فتبين لنا أن «إلسا» لم تكن قط المرأة التي تصورناها.

من خلال كتاباتها، تمكن القراء من الغوص في أعماق هذه الكاتبة وإزاحة ستار الأسطورة الذي حجبها لمدة طويلة فاكشفوا أنها امرأة ذات شخصية قوية وإرادة صلبة لكنها ذات حساسية مفرطة.

لقد إنهمكت «إلسا» لفترة طويلة لا تقل عن ثلاثين سنة في كتابة ما يمكن تسميته بذكراتها أو يومياتها. ففي عام 1912 دونت في كراسها وهي فتاة مراهقة ما يلي "لي رغبة جامحة في الكتابة لكن لست أدري كيف أشرع في ذلك" ثم صورت في كتاباتها اللاحقة سعيها المضني الشاق في إكتساب هذه الموهبة. وفي عام 1939 أفلتت «إلسا» آخر مذكراتها وقررت عدم العودة إلى هذا النمط الأدبي. لقد أصبحت أديبة وتحقق حلمها ونجحت الفتاة الروسية ذات النسب الشريف في تحديها: ففي سنة 1925 شجعها الأديب الشهير "غوركي" Gorki على نشر رواية كتبها بالروسية لغتها الأم وهي رواية "في تاهيتي" A Tahiti وفي سنة 1938 قررت الكتابة باللغة الفرنسية، لغتها المتبناة فنشرت رواية "مساء الخير تيريزا" Bonsoir Thérèse فكان ذلك حدثا هاما بينت «إلسا» من خلاله أنها أصبحت كاتبة روائية بأتم معنى الكلمة وأنها قد اختارت الفرنسية نهائيا كلغة تكتب بها رغم أنها روسية النسب والنشأة.

إن كانت الكتابات الاولى "لإلسا تريبولي" تشد إهتمامنا كثيرا فذلك لأنها كانت نابعة من صميم الواقع حتى وإن كانت قيمتها الأدبية ليست بالعظيمة. كانت «إلسا» حينئذ قد بلغت السادسة عشرة من عمرها وكانت تكتب بحماس وتلقائية وهي لا تفكر في قارئ خيالي بل كانت تحس أنها شرعت في إحضار مادة تنفعها في كتاباتها المستقبلية: "ربما تكون كل هذه الخواطر والذكريات مواضيع كتاباتي في المستقبل" أما في تلك الفترة من حياتها فالكتابة بالنسبة "لإلسا" لها وظيفة علاجية: "أرأيت، عندما أكتب قليلا

أحس بارتياح". وهي بتكوين أحاسيسها ومشاعرها تحاول فهم ذاتها ففي نصوصها الأولى أظهرت «إلسا» براعة فائقة في تحليلها لأحاسيسها ومحاولتها تفهم شخصيتها.

كانت «إلسا» تتألم من إهمال أفراد عائلتها ونبذهم إياها. فاعترافاتها الأولى توضح لنا تذبذب ومعاناة فتاة لم تجد مكانها في الوسط الأسري فبقيت حتى بلوغها سن متقدمة فريسة لقلق وجودي مقيت: "لم أكن أقدر إحتلال المرتبة الأولى في قلب أحد من أفراد أسرتي.

" كتبت «إلسا» سنة 1926، هذا الإحساس راودها كامل حياتها حتى أصبح عنوانا لإحدى رواياتها:

لا أحد يحبني *Perssonne ne m'aime*. أما التي يحبونها حقاً ويعجبون بجمالها فهي "ليلي" *Lili* الأخت الكبرى "لألسا"، الأخت التي غدت أحاسيس ألسا بالإنجاب لكن بشيء من الغيرة لذلك. فالأولى كانت السعادة نصيبها. أما الثانية فلم تكن تتصور لنفسها الحياة تعبئة لم يخفف وطأتها لا الحب الذي يكنه لها زوجها "أراغون" ولا الشهرة الأدبية التي عرفتها: "يقولون أنه في حياتي حظي طيب جدا لكن لا أدري لم أخسر دائما". الحل الوحيد "لألسا" كان النفي الذي اختارته بهجرتها إلى فرنسا ثم الكتابة. وبعد مضي سنوات تعرفت «إلسا» على "لويس أراغون" فراودها نفس التساؤل: كيف يمكنها التواجد في ظل الآخر؟ حاولت «إلسا» انتزاع هذا الشعور الذي استبد بها منذ طفولتها وأرادت إحتلال مكان هام بجانب هذا الرجل الذي إمتاز بفضل موهبته ونال الحظ الأوفر من الشهرة والتقدير في حين كان أعداءها يتحدثون عن طبيعتها الإنتهازية أو الوصولية. لكن مذكرات "إلسا" بينت أنها كانت تحس بجراح عميقة وهي لا تقف تبحث عن ذاتها لتحل بالمكان الذي يليق بقيمتها الأدبية.

تمثل المرحلة البرناسية (نسبة إلى مدرسة البرناس الأدبية L'école du larnasse littéraire) مرحلة هامة في تطور هذه الكتابة الروائية. إذ أدركت "إلسا" وجوب تجاوزها لنمط المذكرات أو اليوميات وضرورة الوصول إلى مرحلة الكتابة الروائية. فشرعت في تحقيق رغبتها محاولة "الخروج عن الذات" إذ أن ضمير المتكلم يسجنها وضمير الغائب يحررها والكتابة تحولت من وسيلة تعذيب الذات إلى عملية إنقاذ: "كنت في الماضي أكتب عندما أحس بالحزن أما اليوم فالبحث في ذاتي أصبح شيئا غريبا بالنسبة لي. لماذا أهول من هذا الشعور بالقلق الذي إستبد بي، ساهتم بإرادتي وعزيمتي".

هكذا فقدت مذكرات "إلسا" طابعها الإعتراقي لتصبح "مخبرا تحضيريا" لنصوص "إلسا" المستقبلية، فكان تدوينها لكل مظاهر حياتها اليومية، لأحلامها وطموحاتها، يعتبر مادة أساسية يمكن استغلالها لاحقا في رواياتها الأدبية.

جمعت "ماري تيريزا إيشارت" هذه الكتابات لإعطاء فرصة للقارئ كي يطلع على أسرار و"كواليس" الخلق الإبداعي الأدبي وإذا ما تابعنا هذه "المسودات" نثبين لنا مراحل نشأة العالم الروائي لهذه الكاتبة ونجد مجمل مشاعرها: إحساسها المستمر بأن حياتها كانت وهما، رفضها للشيخوخة، خوفها المستمر من الوحدة.. تمثل هذه المذكرات "غورا" تغوص فيه لتدرك العوامل والبذور التي دفعت هذه المرأة المثيرة للإهتمام إلى الإبداع الأدبي، هذه المرأة التي اعترفت "أنها كانت تشعر بخوف اختلاجي من الحياة".

# الفنّانة التّشكيلية : مريم التّريكي ترسم أفراحا تتطلّب الأبدية العميقة

إعداد : أمجد عطاء الله

إنّ العالم عميق  
فهو أعمق ممّا يعتقد النّهار  
وآلامه عميقة  
وتقول الألام للعالم أعبر وأنقض  
ولكنّ الأفراح تتطلّب الأبدية  
تتطلّب الأبدية العميقة ...  
فريدريك نيتشة  
http://www.archive.com

الفراق .. حياة باطنية ( Vie Interieur ) .. تبعية ( Mouvance ) ..  
باب الذكريات .. والثلاثية ..

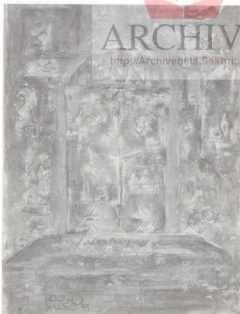
هي عناوين أعمال فنية في منتهى الروعة بريشة رسّامة شابة تمتلئ بالحياة والطموح .. ففي كلّ إنجاز رمز لتأنيث الفينيقيّة وكأنّ مريم التّريكي - الطّفلة الكبيرة - التي تخطو خطواتها الأولى في عالم الفنّ التّشكيلي - باسم الآلهة تأنيث ورحمتها ..

كيف لا وفتاة سيدي بوسعيد ترعرعت في كنف أعرق الحضارات البشريّة فارتسمت صباحات طفولتها بقدم (عليسة ديدون) وأمتزجت أمسياتها بصهيل فرسان تنخر الأرض تجاه فجر أفضل وحلم أجمل ...

الرسّامة مريم التّريكي تكشف حقائق النّفس الخفية وذاك الجدال القائم بين المرء وذاته بريشة حرة ألوانها تدعونا لنوغل في التّفكير منفردين مع ذاتنا لا لشيء فقط



الثلاثيَّة - للرسماء مريم التريكي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

باب الذكريات -

لرسماء مريم التريكي



كي نهيم، اللبنة الأولى لبناء الحلم مع الآخر ...

والآخر في أعمال الفنانة هو الأب والأخ والصديق والحبيب .. هذا الطرف تجسده لوحة « حياة باطنية » في صورته الجميلة وعلاقته الحميمية بالطرف المقابل له فيستلئ الضوء في أجزاء من مساحة اللوحة موزونا بقدر الود والمحبة النبيلة التي سرت بينهما .. فكان هذا العمل حديثا بلا صوت للأخ والصديق وللأب والحبيب .. فكثيرون هم الذين يتحدثون ولا صوت لهم .. فالعاصفة لا تشيرها إلا الكلمات التي لا صوت لها ..

أما حكاية الفراق فهي لوحة فيها بحثا عميق في فلسفة الذات .. حيث تعددت المنافذ والإنجافات منفذ عليا لأنا وآخر على الأنا الأعلى وثالث كما حتمه الصراع مع الذات أومع الطرف الآخر فكان تجاه الجنة أو النار ...؟! هكذا كانت جل أعمالها فن متأمل يصبو للتجديد ، فيه أشكال وصور متعددة للتحدي والتمرد على التقليد البالي لتحقيق ذات قادرة على إنجاز حياة آمنة وسط الجماعة ...

فوقفة متأملة أمام لوحة الفراق تبرز لنا جليا حيرة المفترقين .. فكما قال نيتشه : « يجب على المرء أن يحترم عباده في صديقه، إذ لا يمكن أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه وتحارب شخصيته » .

هكذا بدت مراجعة الذات في لوحات الفنانة بالأسلوب الذي توخاه نيتشه .. فالجدال الحاد بيننا وذاتنا يجعلنا في حاجة إلى طرف آخر صديقا كان أو حبيبا أو أخا ...

أما لوحة الثلاثية فقد تجاوزت الرسامة مفهوم الثنائية فيها لمساحة أرحب وأكثر تنظيما لا تخلو من المحبة والعطف والرحمة .. هي .. الأسرة .. هو المجتمع الفاضل بارئه الحضاري وواقعه ونظرته المستقبلية ..

فالرسامة مريم التريكي بفنّها المتأمل بدت حاملة بالحياة في جماعة عازفة عن العيش منفردة ، أعمالها حوار عميق مع الذات البشرية ونبراس يكشف عن الفرح الذي تحجبه الظلمة البغيضة ليحقق له الأبدية فيزهو الفرح أفرحا فالعيش في حزن أو فرح مطلقي يكون خلافا لوتيرة الزمن وسنة الوجود ...



فراق - للرسماء مريم التريكي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



حياة باطنية - للرسماء مريم التريكي

# السياسات التنموية في تونس

(1956 . 1986)

بقلم الدكتور : منذر عافي

قامت في تونس منذ الاستقلال أنواع مختلفة من التجارب التنموية لمواجهة مظاهر الانهالك والركود التي خلفها الاستعمار الفرنسي، ومورست أنواع متعددة من التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في اطار مشروع تنموي حضاري يتصور أن التنمية انما هي نظرة فوقية لسن القوانين ولأحد القرارات ولتصور الضوابط للعمل المشترك والممتد على مدى الاجيال

وتقوم الفكرة الأساسية في نظريات التنمية على اعتبار أن البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع لا يمكن أن يتحول فجأة من نموذج يعكس ملامح التخلف إلى نموذج مختلف يعكس التقدم، إذ أن هذه الابنية يجب أن تمر بمجموعة معقدة من المراحل المتعاقبة، إلا أننا كثيرا ما نلاحظ هيمنة القرارات السياسية على جميع الاعتبارات الأخرى الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافية بحيث يتحكم المنظور السياسي في كامل المسيرة التنموية وهو ما يؤثر سلبا على علاقة المواطن بالدولة وعلى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

ومن أجل تفهم أسباب الركود وإمكانيات التنمية وحتى نكون على بينة من خطورة الوضع وأهمية الاختيارات التنموية في تونس منذ الاستقلال لا يجب أن نكتفي بتكرار حقيقة أن تونس في حاجة إلى التنمية الاقتصادية ولا انها تعاني المشاكل نفسها التي تعانيها جل دول العالم الثالث حديثة العهد بالاستقلال. إذ من الواضح لنا جميعا أن عملية التنمية في تونس بعد الاستقلال حددتها عوامل كثيرة بعضها يتعلق بمدى توافر الموارد الأساسية ومدى التطور السابق لمرحلة الاستقلال خاصة مدى تطور الصناعة والزراعة وأيضا البنى الأساسية إلى جانب كثافة السكان والخصائص السكانية غير المتجانسة .

ويمكننا مع ذلك القول بأن التجربة التنموية التونسية ثرية وفريدة من نوعها، زادت بها الظروف والاختيارات السياسية وتعددية التجارب ثراء وتنوعا، فلقد كان على الدولة الجديدة أن تسترجع مقومات الاقتصاد بالوطن من المعمرين والشركات الفرنسية الاستعمارية وتستحدث من البنى الاقتصادية والاجتماعية ما يمكنها من إنجاز التنمية كما كان ضروريا صياغة خطط إصلاحية خصوصية، ولقد ارتكزت جهود التنمية في تونس على تنمية الموارد البشرية والموارد الطبيعية كما سعت إلى الاستجابة إلى الحاجات المتزايدة للسكان. وظلّ الفكر التنموي فيها متأثرا لفترة طويلة بإنخفاض مستوى الدخل وتدني معدلات الاستثمار وكان من الطبيعي أن توجه العناية إلى أمرين، الأول هو تعبئة الموارد الطبيعية والمدخرات المحلية، والثاني، وهو الأهم، التركيز على مسألة التشغيل التي كانت واحدة من التحديات الأكثر أهمية التي جابهتها تونس. والثابت أن مسألة التشغيل أتت بصورة متكررة في كل الخطط التنموية منذ 1962 وذلك رغبة في السيطرة على التغيير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، خاصة إثر الهجرة السريعة للسكان من الريف إلى المدينة بحثا عن القوت وعن العمل. لقد فرضت قضية التشغيل نفسها وأصبحت البطالة تشكل على الساحة الاجتماعية التونسية أعوص المشاكل وظهرت فئات اجتماعية تبحث عن مكانة ما ضمن الحياة الاجتماعية الجديدة فلا تجد التوازن الكافي وكثرت المجموعات الهامشية المحرومة اجتماعيا مثل الفئات الشعبية. ولذلك أصبح التخطيط ضرورة ملحة .

وأول نموذج إقتصادي واجتماعي حقيقي وقع تصوره في تونس وضع من قبل Ingvar Svenitson 1960-1958 وكانت أهدافه تكمن أساسا في إنجاز برنامج متكامل لامتناع البطالة إلا أن أهدافه تلك اعتبرت طموحة جدا وغير قابلة للإنجاز إذ أنه وعد بتشغيل 600.000 عامل في 10 سنوات دون أن يدرك قيمة النقائص والثغرات الموجودة في تلك الفترة والمتمثلة في تآكل البنية التحتية الأساسية وغياب الاطارات والعملة المختصين إضافة عدم القدرة على التحكم في الموارد الطبيعية، المشاكل الصحية انتشار الجهل والامية العلمية .

إن المعطيات المتوفرة آنذاك لم تكن تمكن من تشغيل أكثر من 250.000 عامل فلاحي و 200.000 عامل في الصناعة ونمضى Svenitson كان في الحقيقة وليد فترة هيمن فيها على الفكر الاقتصادي والسياسي العالمي مشروع التشغيل الاقصى .

ولقد تم بالفعل تجاوز هذا التمشي الاقتصادي ونقده باعتبار أن مشروع التنمية لن يكتب له النجاح إذا بدا مجرد قرارات مسقطا من أعلى وفي قطيعة مع سائر المؤسسات الأخرى وخاصة التقليدي منها مثل الاسرة والسوق وأصحاب النفوذ والفئات المهيمنة على المستوى اليومي .

وإذا تأملنا الوضع التونسي آنذاك فإننا نلاحظ أن فقدان التوازن هو السمة المميزة للمجتمع نظرا إلى العجز على التحكم في الموارد البشرية والموارد المالية والموارد الطبيعية ولذلك تم الالتجاء إلى سياسة التنمية المخططة سنة 1962 وقد أعدت لذلك آفاق عشرية من شأنها أن تضيئ السبل أمام المخططات المتوسطة المدى التي تشمل فترة 1962-1971 وكانت الاهداف الأساسية للأفاق العشرية ثلاثة :

- تحقيق نمو سنوي متوسط نسبة 6٪ للمنتوج الداخل الخام .

- اعداد العدة حتى تستطيع تونس في أواخر العشرية أن تحقق نموها الذاتي .

- تحقيق النهوض بالمواطن التونسي على المستويين الاقتصادي والاجتماعي وقد ضبط نسق النمو بمعدل 6٪ سنويا اعتبارا إلى أهداف الإدخار والاستهلاك من ذلك أن معدل الاستهلاك ضبط بمعدل 4٪ .

أما مقتضيات النمو الذاتي فإنها تدعو إلى الحد من تبعية البلاد للخارج والنزول بها إلى مستوى مقبول على الصعيدين التجاري والمالي. حتى أن الحوار طال طبيعة العلاقة بين التبعية من جهة والتنمية من جهة أخرى ووضعت النظريات في هذا الصدد من أجل بناء مجتمع متقدم ومتحرر معا قادر على تقديم إنجازات حقيقته للفرد بمعنى تحقيق تقدم في مستوى معيشته وتجميع المدخرات الوطنية إضافة إلى وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج .

ولهذا الغرض ضبقت الافاق العشرية أهدافا فيما يخص تنويع الواردات التونسية وموارد التمويل الخارجي وكانت نسبة المساهمة الخارجية في تمويل الاستثمارات 50٪ سنة 1960 وتوقعت الافاق العشرية أن تصبح هذه النسبة 16٪ سنة 1971 وذلك بالإعتماد على فرضية تطور الإدخار لتمثل سنة 1971 قرابة 26٪ من المنتوج الداخلي الخام مقابل 8٪ سنة 1961 .

أما هدف النهوض بالإنسان التونسي فإنه يشمل تعميم التعليم وتحقيق الإستعمال الكامل لكافة الموارد البشرية وتوزيع المداخل بشكل يوفر للطبقات الضعيفة - والتي تمثل حسب

تقديرات الأفاق العشرية ثلاثة أرباع الشعب التونسي - دخلا أدنى يساوي 45 ديناراً في السنة يقدم في شكل تعويضات اجتماعية وهو كما يدل على نوع من القدرة على الإدارة السليمة لعملية مواجهة التبعية وبناء التنمية المستقلة، التي تفترض وجود مستوى مناسب للقدرة على إطلاق طاقات الجماهير وإقامة تحالف طبقي شعبي. تجمع القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في التغيير ويتصل بالإدارة الصحيحة للصراع الهادف للخلاص من التبعية. ولإقامة قاعدة مادية تضمن إستقلالية القرار وسلامة المسار التنموي .

وقد أدرج داخل العشرية المخطط الثلاثي أو التحضيري (1962-1964) متنوعاً بمخططين رباعيين 1968-65 و 1969-1972 .

ويهدف المخطط الثلاثي الأول 1962-1964 الذي نشر بعد صدور الأفاق العشرية بسنة أشهر إلى تهيئة الإقتصاد الوطني للمجهود الإنمائي واندرجت هذه السياسة الاقتصادية في إطار تخطيط شامل لكل القطاعات وفي إطار حرية إستراتيجية إعتمدت أساساً على التعاضد في الفلاحة والتجارة وعملت الحكومة في الستينات على تعصير الفلاحة وتطوير إنتاجها وتوسيع نطاقها. كما عملت بالخصوص على تصنيع البلاد في شكل أقطاب إقليمية كما شهدت هذه المرحلة حركة تأميم واسعة النطاق وفيما يخص التمويل العمومي شجعت الحكومة على الإذخار القومي، ولجأت بالخصوص إلى رؤوس الأموال الأجنبية التي بلغت نسبتها 45٪ من الحجم الجملي للإستثمارات المقدرة .

كما ساعدت نتائج المخطط التحضيري، على إعداد المخطط الرباعي الأول. وقد كانت أفاق هذا المخطط أكثر واقعية من المخطط الثلاثي ومن الأفاق العشرية في بعض الحالات، ذلك أن أفاق المخطط الثلاثي تحققت من ناحية الإستثمارات لا من ناحية تطور الإنتاج الذي لم يتم إلا بنسبة 4.6٪ بينما كان متوقعاً أن يبلغ 9.4٪. وكان المشكل الأساسي بالنسبة إلى المخطط الثلاثي يكمن في الصعوبات التي عرقلت إيجاد موارد مالية على المدى الطويل، كما حاولت تونس أن تسند عملية التنمية هذه إلى الأسلوب العلمي المخطط في مختلف مراحلها سواء في إعداد الخطط وما يتطلبه من معطيات ديموغرافية واقتصادية أم في مرحلة التنفيذ وما تستلزمه من قوى عاملة على درجة مناسبة من التأهيل .

ولقد تبين أن تقديرات كلفة مشاريع خلال المخطط الثلاثي 62-64 أقل بكثير من النفقات الفعلية فهذه النفقات فاقت التقديرات بنسبة 56٪ ومن جهة أخرى فإن التمويل الخارجي حوالي 60٪ من المجموع بواسطة مزودين، كان مشغوعاً بالتعهد بإقتناء التجهيزات من

البلدان المقرضة وهو ما أدى إلى ارتفاع كلفة المشروع من العملة الصعبة، وكان من الواضح أن تتدخل الدولة بعمق من أجل تعبئة الموارد الاقتصادية وتطوير الفروع الرئيسية للإقتصاد الوطني. وتخطيط أو على الأقل برمجة التنمية الاقتصادية وضمان التنمية الصناعية المتناسقة. والحقيقة أنه منذ مطلع الستينات وبعد توتر العلاقات مع فرنسا بسبب المسألة الجزائرية ثم حرب بنزرت وتأميم أراضي المعمرين وما نتج عن ذلك من تطبيقات اقتصادية وجدت البلاد نفسها مدفوعة إلى انتهاج سياسة رأسمالية الدولة خاصة بعد وصول النسق الإصلاحي إلى السلطة وإلى الحزب على غرار أحمد بن صالح الذي أصبح الوجه الأول لسياسة البلاد، وقد وجد هذا الوضع تطبيقا فعليا تمثل في تغيير إسم الحزب الدستوري إلى الحزب الاشتراكي الدستوري ودخول البلاد في تجربة التعاضد أي تجميع كل وسائل الإنتاج في يد الدولة وأمضت الشركات الخاصة المسيطرة على الميادين الحيوية كميدان الطاقة إتفاقيات وشرعت في تحقيق برنامج كبير لتكوين إطارات قومية مؤهلة .

وقد أظهرت العشرية الأولى (1962-1971) نتائج مرضية خاصة في طريق إدماج الصناعة في القطاعات الاقتصادية الأخرى وفي الحد من الفوارق بين الجهات وتمثل ذلك بالخصوص في إحداث مراكز إشعاع من الوجهة الاقتصادية في كل من بنزرت ومنزل بورقيبة والقصرين وباجة .

ولقد وضع مخطط العشرية 1979-62 إستراتيجية كبرى للتنمية الريف وقد إشتمل الإطار العام لسياسة التنمية الريفية على الإصلاح الزراعي وتطوير العلاقات الانتاجية في ضوء التحولات الاجتماعية والسياسية، وهذا يهدف إلى توفير إطار اجتماعي واقتصادي أفضل لعمل الفلاح، كما أن إصلاح الأراضي عملية ترمي إلى إعادة تفكيك السلطة والمكانة الاجتماعية والملكية وتوزيعها توزيعا عادلا بين مختلف الفئات. والشرائح وفي هذا الإطار تم سن قانون ماي 1964 الذي يقضي بمنع الشركات الأجنبية من ملكية الأراضي وبالتالي تركيز الملكية العقارية في يد الأهالي فحسب (3) والمتأمل في أشكال الملكية العقارية آنذاك يلحظ وجود أنواع متعددة منها :

- أملاك الدولة وتشمل أراضي المعمرين والأوقاف العمومية التي تتم إدارتها من قبل بعض الدواوين مثل ديوان أراضي الشمال .

الملكية الخاصة .

- الملكية الجماعية وهي تلك التي تعود إلى العائلات وإلى جماعات عروش .

ولقد أوضحت هذه المسائل متداولة في الخطاب السياسي منذ الستينات خاصة وأن العديد من المحللين يتقاسمون فكرة أن تونس يجب أن تنطلق في مشاريعها التنموية من الإصلاح الزراعي وهذا لا يتم إلا بتظافر الجهود والحد من الملكية الخاصة وإعادة توزيع الأرض وفق مبدأ الأرض لمن يخدمها .

إلا أنه لم توجد في تونس سياسة فلاحية وزراعية واضحة ذلك أن النموذج التونسي في تطبيق الاشتراكية كان مهتزاً ولم يكن مستنداً إلى برنامج علمي كما أنه كان معتمداً البيروقراطية السياسية للحزب الحاكم، والنخب الأيديولوجية قليلة الدراية بالواقع التونسي وقليلة الحماس للإشتراكية ذاتها الشيء الذي أدى إلى فشل تجربة التعاوض خاصة إذا أضفنا عدة مسائل أهمها :

- ضعف الإطارات والكفاءات البشرية

- تفاقم الأمية

- ضيق الأسواق

- عدم مراعاة الذهنية العامة للفلاحين

- مشكل التبعية للشركات متعددة الجنسيات

وفي هذا التركيب كانت البورجوازية الوطنية ضعيفة إلى حد كبير. وقد نتج ذلك عن سياسة الاستعمار فيما يخص الفلاحة، إذ كانت تمر بأزمة كبيرة فانعكس ذلك في هجرة ريفية واسعة .

إن تجربة التنمية في الستينات أظهرت أن نموذج التنمية الذي إتبعته تونس كان يتطلب حجماً من رأس المال الأجنبي ولم تكن الدول الصناعية على إستعداد للتمويل دون شروط علماً أن التجربة التونسية لم تتم في إطار القطعية مع الرأسمالية العالمية والقوى الإمبريالية وإنما أنجزت بدعم منها عن طريق القروض البنكية مساعدات صندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومشاركة رأس المال الأجنبي في مشاريع رأسمالية الدولة التونسية (5) .

ولا شك مع ذلك أن الدولة التونسية حاولت طيلة التجربة الاشتراكية القيام بدور إقتصادي محدد وكان ينبغي توفير الظروف الملائمة للرأسمالية الوطنية كي تنهض بالإقتصاد، إلا أنها طورت دورها حينما إستنكفت الرأسمالية هذه عن لعب الدور المحدد



لها وهنا تبلورت ملامح رأسمالية الدولة كتنجربة تهدف إلى خلق قطاع عام وقادر على تحقيق التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسؤولية الرئيسية في جميع خطط التنمية .

وثانيهما وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في إطار الخطة الشاملة المعدة لها من غير تجاوز. ومن هذا المنطلق جرت السيطرة على كل القطاعات، ورغم فشلها الذي جاء نتيجة بنى داخلية إستجابت للضغط الخارجي ودفعت بإتجاه تغيير الاختيارات فإننا نجد أن التجربة الاشتراكية نتج عنها العديد من المكاسب التقدمية التي يعود بعضها إلى الطبيعة الإصلاحية للقيادة البورجوازية الصغيرة وإلى تأثيرها بالثقافة العلمانية والعقلانية الغربية ( نشر التعليم الإصلاحي، تطوير الزراعة، والرعاية الصحية الخ ) .

وهكذا، عندما إنطلقت مرحلة الليبرالية والانفتاح مع مطلع التسعينات وجدت الأرضية خصبة وملئمة، إذ ستشهد هذه المرحلة إنقلابا كاملا في خطط التنمية وإختيارات الدولة وستعرف تونس نوعا من الانفتاح الاقتصادي سيساعد على زيادة معدل الاستثمار وتحقيق معدلات أعلى للتنمية الاقتصادية، وذلك من خلال الإعتماد على الإستثمارات الأجنبية ولقد إزداد حجم التبادل التجاري بشكل ملحوظ بين تونس والاقطار الأوروبية بعد أن أصبحت تونس عاجزة عن الإستجابة الذاتية لطلباتها في مختلف الميادين كما أنها دخلت أزمة في عميقة سعت في إظهارها إلى إنشاء عدد من الصناعات لإحلالها محل الواردات. كما عملت الدولة على توفير كل الظروف الملائمة لتشجيع الاستثمار الأجنبي وخاصة في المجالات المساعدة على توفير وخلق مواطن الشغل. تلك هي الاهداف التي عملت من أجلها مخططات التنمية منذ 1969 ولقد إستفادت الدولة عند إعدادها للمخطط الرباعي الثاني 1969-1972 من فشل تجربة التعاضد، وبصفة عامة بدا المخطط الرباعي كمخطط دعم وإسراع بحركة التطور فعلى هذا الصعيد الاقتصادي حدثت نسبة النمو - 6.5، وفي القطاعات الاستخراجية وخاصة قطاع المناجم - 8.5 مع نمو في الانتاج الفلاحي قدره 5.1 .

لقد تميزت العشرية الثانية من التنمية منذ البداية لتغيرات مهمة في التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة التونسية. وهي تغيرات أثرت بشكل كبير على استراتيجيات التنمية وعلى السياسة الاجتماعية ككل. ولقد اتسع الحديث طيلة هذه العشرية عن قضايا التنمية والتخلف والتبعية وتجاوزت وجهات نظر مختلفة حول معانيها وحول طبيعتها وتطوراتها في الواقع بعد أن شهدت تونس تجارب تنموية خلال

الستينات إنتكست كلها وإن لم تكن هذه التجارب دون جدوى حيث أسهمت في تحقيق تطوّر واضح في بنية المجتمع .

وسنحاول معالجة السياق الاقتصادي والاجتماعي خلال العقد الثاني من التنمية وخاصة في أهدافه السياسية والاجتماعية وفي النهاية سننظر في نتائج هذه السياسة الاجتماعية والمشاكل المطروحة عند تطبيقها .

فبعد أزمة 69 المتميزة بإيقاف العمل بالسياسات التنموية المطبقة منذ 1960 شهدت البلاد عدة تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية لم تكن بمعزل عن السيطرة الاقتصادية والتبعية التي نتجت عن عملية الإدماج في السوق العالمية، فالقضية مرتبطة بعبء النظام الاقتصادي العالمي على التطور المحلي، مما يربط القضية باختيار إيديولوجي وتصور سياسي محدّد لأنه لا يمكن تحقيق الاستقلال الاقتصادي إلا بتحقيق الاستقلال الإيديولوجي. إلا أن السياق المنهجي يفرض التأكيد على أن الاختيار التنموي ليس مجرد محتوى إيديولوجي، وإنما هو تطبيق عملي لهذه الإيديولوجيا في الواضح .

فانطلاقاً من سنة 1970 تأكد الاختيار الليبرالي التنموي بالحدّ من تدخل الدولة في المجالات الأساسية، وتشجيع المبادرات الخاصة في الاستثمار الفلاحي والصناعي. لقد عرفت هذه المرحلة قلباً للحارطة السياسية القديمة خاصة بإبدال الوزير الأول وحلّ المكتب السياسي للحزب وإنشاء هيئة سياسية عليا، من مشمولاتها إنجاز مشروع لتعديل الدستور .

ولقد تزامن تغيير الإدارة السياسية في البلاد مع ظهور قيادة نقابية جديدة زكاهها الحزب ووافق عليها الاتحاد العام التونسي للشغل في جلسة استثنائية يوم 29 ماي 1970. ولقد مكن المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي الدستوري كذلك من توضيح طبيعة الاستراتيجية التنموية الجديدة والسياسات الاقتصادية والاجتماعية المنبثقة عنها، ورامت الاشتراكية الدستورية في تلك الفترة القطع مع مبدأ الصراع الطبقي كما سعت إلى ضمان احترام حق الملكية الفردية واعتبرت أن الاستراتيجية التنموية الجديدة إنما هي استراتيجية شمولية من أهم أهدافها حماية حقوق الانسان الأساسية، وضمان التوازن بين الجهات وتقليص الفوارق الاجتماعية .

كما نادى المؤتمر بضرورة توخي الواقعية عند معالجة مسائل التنمية. وهذه الواقعية عرفت آنذاك بأنها ليست مجرد إستسلام للأمر الواقع وخضوع له، وإنما هي تغيير عن

إرادة صادقة في تجاوز هذا الواقع، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار جدوى إعداد برمجة واضحة طبق أولويات مضبوطة .

إن السياسة الاجتماعية خلال العشرية الثانية للتنمية واصلت العمل بالتوجهات السابقة في الميدان الاجتماعي. وكانت أهدافها تركز أساسا على التصدي للآفات الاجتماعية وخاصة البطالة والبؤس والجهل والأمراض الوبائية، ولقد أُلح المخطط المنجز خلال هذه العشرية الثانية والذي يغطي سنوات 1973-1976 وواقعيتها في التعامل مع على المشاكل والصعوبات الناشئة في إطار سياق اجتماعي واقتصادي موروث، وهي بذلك تريد القطع مع المخططات السابقة، لتؤكد أنه اعتبارا إلى النمو الديمغرافي السريع الذي تشهده البلاد لا يجب أن تتفاعل كثيرا ونطمح إلى القضاء على تلك الآفات الاجتماعية. ولئن وجدت توجهات السياسة الاجتماعية نحو تحسين ظروف العيش دعما نسبيا وإذا كانت عدة مشاريع قد ظهرت مثل مشروع التنمية الريفية. فإن العشرية الثانية للتنمية 1972-1981 قد تميزت على المستوى الاجتماعي بالتركيز خاصة على تحسين الأجور وذلك في إطار السعي إلى التحكم في الموارد البشرية. فمشكل الأجور والتشغيل احتل حيزا هاما في أهداف هذه العشرية. إلا أن مقارنة المسألة اختلفت هذه المرة عن تلك التي تمت في الستينات. إذ لم تعد المسألة تقتصر على ضمان حد أقصى من مواطن الشغل ولا القضاء بصفة نهائية على مشكل البطالة بل أصبحت توائم بين الحاجات والامكانيات بشكل أكثر عقلانية .

ولقد هيمنت على التنظيرات السياسية منذ بداية العشرية الثانية فكرة التعاقد الاجتماعي بين الحكومة من جهة والقوى المنتجة والعاملة من جهة أخرى. وتشمل هذه الفكرة مسألتين أساسيتين :

1 - إنشاء قانون إطار ييسر القطاعات والمهن الفلاحية والصناعية والتجارية .

2 - إبرام اتفاقيات إطارية تنظم علاقة العامل بالمؤجر .

ولقد تدعم إختيار هذه السياسة الاجتماعية الجديدة بظهور الحاجة إلى خلق مناخ ملائم للسلم الاجتماعي وإيجاد ظروف مناسبة للنمو .

وثمة توجهات عامة للسياسة الاجتماعية ولمناخ المصالحة والسلم الاجتماعي تخطيطا وممارسة، لعل أهمها التكامل والاتفاق في وضع وتنفيذ السياسيات بين مختلف القوى الضاغطة في المجتمع وخاصة بين الاتحاد العام التونسي للشغل ومنظمة الأعراف، ومن

أجل البرهنة على قبولها لهذا التوجه بادرت الحكومة منذ 1973 إلى رفع الحاجز الرئيسي أمام المفاوضات الاجتماعية حول الأجور وذلك بوضع حدّ لتطبيق الفصل 51 من قانون الشغل الذي أتى ليمنع كل أشكال التفاوض حول الأجور بين النقابات والمؤسسات. ولقد قادت العشرية الثانية الدولة إلى إتباع طريق التصدير ودخول الأسواق العالمية في الميدان الصناعي، وذلك سعياً إلى خلق مواطن شغل جديدة والاستجابة بالتالي إلى التطور الكمي والكيفي لطالبي الشغل. مع إتباع طريق اجدى لنقل التكنولوجيا والاخذ بأسلوب البرمجة الاقتصادية على مستوى الاقتصاد الوطني وهذا يتطلب تغيير البنية الاقتصادية السائدة وانتهاج عملية تنمية تأخذ بالاعتبار الواقع والطموحات علماً بأن تونس قد سحبت طيلة العشرية الثانية للتنمية نتائجاً مهمة في عديد المجالات لكن بتكلفة مرتفعة بأن أن مردود رأس المال الوطني كان ضعيفاً، ويمكن أن تسجل هنا أن القيمة الحقيقية لرأس المال إذا أخذنا بالإعتبار نسبة الفوائض والأثمان التي قد ارتفعت طيلة العشرية الشيء الذي بشكل جلي نسبة العمل بالمقارنة مع رأس المال باعتبار أن الأجور نشأت عنها نسبة 7.6، أما إنتاجية العمل فقد نشأت عنها نسبة تقدر بـ 2.8 فقط وهو ما لا يشجع إطلاقاً الاستثمار في الصناعة .

وظلت تونس تواجه تحديات الصناعة والمنافسة واقتحام السوق العالمية بامكانيات جيدة ولذلك سعت إلى التعاون الصناعي مع الدول الصناعية من أجل توسيع قاعدتها الصناعية واستثمار مواردها الطبيعية بشكل مجد .

وهي تهدف بذلك إلى خلق مواطن شغل جديدة وإلى تجاوز العجز في الميزان التجاري ولقد شجعت تونس التعاون الأجنبي وفسحت المجال أمام الشركات متعددة الجنسيات للاستثمار. والحقيقة أن هذه العملية انطلقت منذ 1969 إلا أنها تدعمت سنة 1972 وذلك إثر صدور قانون 72، وهو قانون تشجيع الصناعات التصديرية ولمواجهة البطالة ونقل التكنولوجيا. ويمكن أن نقول بأن الغاية الأساسية لهذا القانون كانت تجاوز المشاكل المنجزة عن السياسة الحمائية التي توختها الدول الصناعية إذ كانت تمنع البضاعة التونسية من اختراق أسواقها بسهولة. بينما كانت المنتجات الأوروبية تدخل الأسواق التونسية ولا يفرض عليها إلا تعريفاً جمركية منخفضة .

ولقد أمكن بفضل هذا القانون للمستثمرين الأجانب دخول تونس وتركيز مشاريع وذلك في إطار التعاون الصناعي - قانون 1974 - والخاص بالاستثمار في الصناعة .

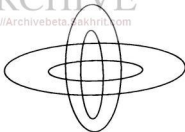
وهكذا فعلى الرغم من تشبث تونس بمبدأ الحرية الاقتصادية فإنها اضطرت إلى تدعيم القطاع العام، ولم يكن القطاع الخاص في هذه الحالة قادرا على قيادة عملية التنمية، كما تعرض القطاع العام إلى خسائر كبيرة نتيجة لعدم القدرة على تسييره وبسبب تقلبات الأسواق العالمية ولم تستطع برامج وتجارب التنمية أن تفرز منها متكاملا لإحداث التطور وعلى الرغم من الإدراك الواعي لهذه الحقيقة نظريا إلا أن سيطرة المتغيرات الخارجية جعلت من الصعب خلق البرنامج الوطني القادر على تطوير الإدارة التي تستطيع إدراك المتطلبات الحقيقية للتنمية الشاملة.

وهكذا مرت البلاد بأزمات تنموية خانقة، اختل فيها النظام الاجتماعي وطرحت قضايا لم يعهدها المجتمع كما ظهرت جماعات هامشية اتسمت ردود فعلها بالعنف، لقد رفضت حينئذ الحلول التي قدمها السياسي لاشكالات التنمية هذه الحلول التي تميزت بتجاهل أسئلة جوهرية مثل لمصلحة من التنمية ومن وجهة نظر من يقوم بها ومن يتحمل أعباءها هذه الأسئلة إلى جانب أخرى تثير جوانب حساسة تتعلق بالمضمون الاجتماعي والسياسي لقضايا التنمية والقوى الاجتماعية الموجودة على الساحة مصالحها وعلاقاتها دورها ونصيبها.

وفي خضم هذا الركود دخلت تونس مرحلة جديدة هي مرحلة الإصلاح الهيكلي في أواخر 1986 والتي تتميز بإفتتاح الاقتصاد التونسي أكثر على الخارج وهي مرحلة شهدت كذلك تدخلا واضحا صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لتقديم مساعدات مشروطة إلى تونس وهو ما يدل على ضعف بل هزال الاقتصاد التونسي وعدم قدرته على تجاوز عدم التوازن مما يشكل تبعية بالغة الخطورة ظلت إلى حدود سنة 1987 في حاجة إلى تجاوز وإلى تصحيح المسار السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيشه البلاد. ولا ننسى كم كانت البلاد تعاني من هدر للطاقات البشرية ونود أن أسجل هنا أن المسيرة التنموية لتونس طيلة السنوات الثلاثين لم تول البعد القومي للتنمية أي البعد الغربي ما يستحق من اهتمام ولا البعد المغاربي وخاصة البعد العربي وهي مسألة توحى بها التحديات التي تواجهها كل البلدان العربية في الحقيقة تحديات الكتل والتكتلات على الصعيد العالمي ومن ثم الانطلاق إلى التنمية المتوازنة والمنفتحة على الاقتصاد العالمي في إطار الشراكة واستيعاب التطورات الثقافية مع الاستجابة كذلك لمقتضيات ثابتة من أجل إقامة تنمية إقتصادية واجتماعية ثابتة تقوم على الحرية والعدالة والانفتاح أي الربط من الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية وفسح المجال أمام الفئات والشرائح الاجتماعية لتمتع بالتعليم والثقيف الاجتماعي

وتحسين مسالك توزيع الدخل والثروة دون النظر إلى الشعب على أنه قاصر لا يستطيع ممارسة حقوقه المختلفة ويحرم بالتالي من المشاركة السياسية والمشاركة في صياغة خطط تنمية تخدم تطلعاته المستقبلية وتحقق له تكافؤا في فرص التعليم والعمل والكسب والخدمات الصحية. وفي الختام نقول إن التنمية الحقيقية يجب أن تستهدف القضاء على نظام الاقتصاد التقليدي الذي يتسم بانخفاض الانتاجية وتوجيه الانتاج الاستهلاك المحلي لمواجهة الضروريات الأساسية للحياة وتسعى إلى الاعتماد على التقنية المتطورة والتوجيه السياسي والاجتماعي الهادف

وهذا ما لمسناه بصفة فعلية في مخططات التنمية المتتابة منذ 1987 (المخطط السابع والثامن والتاسع) فهي مخططات تمتاز بالواقعية والوضوح فضلا عن تركيزها المباشر على الموارد البشرية إعدادا وتأهيلا .



# وأذكر ...

شعر : آمال سفطة

غير متوقع

كدت أقول

وجودي بباريس

في نهج القلب الطريح <sup>(1)</sup>

وإذا بي

كمن أمسك وهو متلبس بالجريمة

ARCHIVE

<http://ArchiveBe.sakhril.com>

المدينة العتيقة بتونس

نهج عنقني <sup>(2)</sup>

قبل ولوجي

مناجات

نهج المشنقة <sup>(3)</sup>.

---

(1) Rue ci-gît le cœur à Saint-Michel.

(2) وراء المركز الثقافي الطاهر الحداد.

(3) بباب سعدون.

# دقائق .. للمصراخ

## عذاب التكاوي

« إلى رشيدة الشاربي .. وسومر الربيعي  
وأفلاحي .. والصباح الذئب تأخر .. »

1. لك حزن النخلة

التي زارتك ..

قبل هذا الغروب

ولي دمة من حجر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.com>

2. لك وقتك الكافي

للحزن ،

ولي دقائق معدودة " للمصراخ "

3. لك دمع " دجلة " ،

ولي أمل

من زجاج



4. لكِ حماسُ الندى - الطفل ،  
ولي صباحٌ يأسرُ ،  
- غيبتهُ رسائلُ الأهلِ التي  
كَادَ يمحوها بكاءُهم المزمِنُ ،  
والانتظارُ الطويلُ

5. لكِ الرِّيحانةُ<sup>(١)</sup>  
الترقُّصُ في حُضْنِ إلهةٍ ،  
ولي هذا الكتابُ الناطقُ<sup>(٢)</sup>  
بفأكمةِ الدَّمعِ ،  
والحكمُ المستحيلُ !!

6. لكِ قصّةٌ<sup>(٣)</sup>  
بطلها الوقتُ ،  
وزمنها امتدادُ البحرِ ،  
مكتوبةٌ على ورقٍ  
مُبِلِّ

بضمير الفصول (١)،

ولي دعاءٌ خافتٌ

قطَعَ المَرِيقَ عليه ،

خريفٌ

غارقٌ بالزَّيْلَةِ ١١



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عذاب الركباني

بنغازي ١٩٩٩ مايو

---

(١) هو "سومر" ابن القاضية رشيدة الشاربي، ولد في الربيعي  
(٢) هو الصديق الروائي الكبير عبدالرحمن التريبي  
مجيد

لا تقطعي حبلتي

لا تُمسكي كفي  
لا تقطعي حبلتي  
إني أحاول  
ملء الدلو من جفك  
هذا الذي يحنو  
هذا الذي يهفو  
مثلي يراود  
حسن القلب في حضنك



وحيدا  
أتيت  
شريدا ذهبت  
وصوت البلبل  
لا يفتفيك  
تهيم الدلاء  
يغيب النداء  
ويرجو العناب  
أن تلتقيك

# كَانَ... لِي...

شعر : عَبْدُ الدِّمِيدِ خَرِيفٌ

كَانَ لِي بَيْتٌ .....  
عَلَى شَبَابِهِ وَرْدٌ وَأَعْشَابُ .....  
وَفِي بَيْتِي .....  
سِرٌّ مِنَ الْخَشَبِ .....  
وَأَوْرَاقُ مَبْعُوثَةٌ .....  
وَبَعْضٌ مِنَ الْكُتُبِ .....  
وَمِيزَةٌ مَكْسُورَةٌ .....  
وَجُزْءٌ مِنْ بَقَايَا شَمْعَةِ الثَّعْبِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ .....  
يُوَاجِهُ بَابَهُ الشَّمْسُ .....  
وَخَلْفَ الْبَابِ .....  
رَسْمٌ لِيَطْفُلٌ دَامَعَ الْعَيْنَيْنِ .....  
وَفِي يَدَيْهِ كِتَابٌ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي مَسْكَنُ الْأَقْمَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي مَرْتَعُ الْأَطْيَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي غَايَةُ الْأَزْهَارِ .....  
كَانَ لِي بَيْتٌ ..... وَبَيْتِي كَانَ مَا كَانَ .....

شعر : صفية بن سليمان حملاوي

## أَلِفَت رُوحِي رُوحَكَ

أذهلني فيك  
اللطف البشري ...  
والخلقُ الملائكي  
ودفق الحنان الخارق ...  
فرايتُ فيك ظلَّ الإله  
في خلقه ...  
رأيتُ فيك ...  
أجمل صفاتي ،  
عُيُوبي ..  
آمالي ،  
وطموحاتي ،  
كنت مرآة ذاتي  
وكأنتك بعض مني  
أو امتداد لي ..  
أو كأنتك أنا على مُذكرٍ

أعدتني إلى جنان طفولتي ..  
إلى أجمل السنين  
كنت ركني الأمين  
عند الشدائد ...

تشدّ أزري .. وتُساندني  
كنت كالكرّيات البيض في دمي  
تدفع الضرّ عني ..  
ودوما متأجّج العواطف ...

صوتك في مسمعي مَوَاسِم فرح فَرْدَوَسِي  
واسمك كوكبي السّحري

كأنّما روحي ...  
ألفت روحك  
ARCHIVE  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قبل المولِدِ  
وقبل الموعدِ  
من الأزل إلى الأبدِ .  
وأنت سكني وعنواني  
هويتي وأغلى أوطاني  
ولو لم تُوجدِ  
لاخترعتك في قصائدي

# ليس لي براعة الوقت

نص : علي الأسكندري  
العراق

في غابة المعنى .. الوقت مانل للزوال  
في صحراء العائلة .. الوقت يتفتت في بلورة الفراغ  
في بخار الأصدقاء ..

الوقت محتشد على رماد الآخرة  
في تفاحة الحرب  
الوقت عشبة آدم...  
أمام براعة الوقت ،  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أراجع أورام الغابرين .. أرتب مازقي على سوادها ..  
البارد .

أقلب خارطة المعصية  
وأحلم بقرانصة يبقرون أنظمة السير .. ويهمشمون نصب  
الساحة الأخرس .

ربما ولد الوقت  
أرفع المومياء من ربطة عنق المذيع ، وأمجّد فطرة الشجرة  
التي أوحينا لها بأن ترضع الوقت  
لا أخرج من قفلة الشك

لا أدخل إلى قوقعة اليقين  
لا أدين المساء المهشم على جبين بوذا  
لا أخضع لأخطائي  
لا أتسرل بالبراءة  
لا أشرب نخب النصر  
لا أدير ظهري للصقر  
لا أنتمي لمراسيم الحكمة  
أنا وحدي على عشبة التضاد .. أطيح بنظام الكواكب  
أنا الـ (لا) الوحيدة في جرثومة الوقت  
أطلق الحزن على الكرسي .  
فينقلب الوقت على أيامي



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

للكراس بريق مؤقت  
يغلفنا بفطريات الوهم  
أطلق الشمس على السماء  
أطلق السماء على الطيور  
أطلق الطيور على الحرية  
أطلق الحرية على صخرة الفجر  
أطلق الفجر على عسرة الصمت



أطلق الصّمت على ماكنة الأيام  
الأيّام يرقّات شرهة تعشعش في حوصلة الوقت  
أطلق الفضاء على العنف  
أطلق العنف على تمثال الوقت  
الوقت .....  
الوقت .....  
.....

الوقت كذبة فجّة تطاردها عربات السّاعة  
أطلق الهواء على تجاعيد الكتابة  
أطلق الكتابه على سمسة اللامعنى  
أطلق اللامعنى

على فارزة المقهى  
أطلق المقهى على حوصلة الشّارع  
أطلق الشّارع على معلّبات الأنوثة  
أطلق الأنوثة في مخدعي  
وانطفئ في خراب التّشابه .. وتناص الرّغبة .

# كل شيء

شعر : خالد البابلي  
العراق

\* نشوء داكن ..

كصوافن تبرق بعنادها الهتوك  
أندفع غارزا أيامي بجوشن المغيب  
متفشيا في ظلام السرّ

مختبئا بين اسمي في فلولي

لتجرّ محنة التأريخ

لأطفالي سيخلع الموتى حين القمر



\* تتكسر الكلمات

على نشوء يندلع عاريا قرب جمر الكلام

يؤاخيني نشوء التفكّك

أندرج في طاووس المعنى

أنزل في الأسود المعزول

الأسود الواطئ ستفتح أبوابه

ليرشني بالجلنار حارسه المدجج بسكاكين ..

أسفلك المياه

أسفلك المتشح

بطواسين القرون

\* لا شمس بعد سلالتي

ألد ميتا هنا

فأبعثُ شاهدا على نشوئك الداكن في ..

بياض الأرض

إنِّي أراك مستترا في أبي

وآبي يتجمّع في غمده متحسراً

أراك تنحني في لحظة من زجاج فاضربها ..

بأحجاري ...

وأهزم ما تبقى من جيوش الأسود المحكوك

\* أنفرغ لإسمي - أبرج أطرافه جبلا (السنجار

ألد ميتا هنا. ليكيد بي اسمي علاك وما ..

ARCHIVE  
http://ArchiveBeta.sakulit.com

تلاتي من ذبح تسوره الخزامي

أو .. ما توالى من ظلام ترقطه الجيوش

تدفعني الأيادي إلى جهة أكثر من ظلام

ألقى جوار شقيقة ستلد ولدا يلوح لي بمعجزة

ستخرج من شقوق الجدار

بتموقع الباقون

لتلد الشقيقة ولدا بختانه يتحد المشرّد ..

بالنزيل ،

\* اصفك لأزيل الحجر الذي بلغ المياه

ووحّدتني طافحا في شجرة من عظام الشهيد

\* اصفك فاقرأ ورقا مذهباً

لأري الله بعينين مرسلتين ينفخ وردة  
في احمرار الشيب  
لأغسل من مائها وجهي وأطرافي  
حتى تستدير الشمس في شفتي .. وأبلعها  
لأنطفي ساجيا اسمي على فرس من الضوء  
على فرس من نشوء آخر  
\* سأركل ما تبقى  
سأضع الحديد على النار  
سأضع العقارب في ساعة من حديد  
لألسع أيامي  
لتمتهن المرور في الزمن الصواب  
لتمتهن الإطاحة بي أولا  
لتمتهن المياه  
حتى أهلك 1/1/1960 .  
لأبدأ آخر البحر  
لأستطيع السواحل والسماء  
لأستطيع أن أخلق في برونزات شجرة تنمو  
إلى أسفل يتعمق في سمو عريق  
لأعلن أن لي أفقي وتيجاني  
وإن لي ما أريد من الأصدقاء  
سأنحسر خارجا جركاء اسمي  
وما تلائي من عزلة تحصي على كف الأفول ملامحي



لأنفلق بمعناني على أخطانكم صانبا زقورتي  
وأهلتي ...  
التي تظهر كل يوم في السماء  
لتنقذ على طرقاتكم النهارات المقشرة من ..  
شجر الليل وفساد الأمكنة

من ترف السيد  
أو لذة العبد  
من فزع الملوك  
وجرة التعيس يتحسّس الشمس  
النهارات الموشومة بأحجار الجبل  
ورهافة الفقراء  
\* حططتك فوق قلبي واكتفيت بهذا الفرج  
لأشطي ما تكدّس من عسعات البيوت  
الذكريات  
الكهرمانات  
الطفولة  
الأراجيح  
الفلاسين  
الدشاديش  
تعبت من الصباح كأنّي في معبد آخر الأرض  
أتوق إلى وجه سيبك على هواة الزعنقة

ليكمّل الداكن عمقه  
ليشطر ليلاً عظامي  
أو ..

ليبوح لي بدنسه حافراً حافراً . أو برضح خارجاً  
عن فذاذة عاصل تتجحفّل على كتفيه الطّواويس  
ها هنا .. وقف الهرمسيّ حاملاً في دمه أثاث ..  
الغيّب .

ها هنا .. نفخ الأباضيّ سمومه واكتفى بالكلام  
عن الفرات وخذوشه

ها هنا .. قهر البلاغيّ في خطأ ليس ذا جدوى  
ها هنا .. تناخ الفريسة

ها هنا .. يتقاتل الأثرياء  
ها هنا .. كان الرّعاة  
http://Archivebeta.Sakhril.com

ها هنا .. يترعرع المتحضّرون  
ها هنا .. كلّ شيء

كلّ شيء  
كلّ شيء .

# تناسل الطّرق البعيدة

شعر : حيدر مكي  
العراق

أترك خلفي  
من أسوار ضيقة  
أنتظر العائدين  
فوق أسوار الوداع  
يهرب مني جبیني للضّباع  
فأستعيد صداقة أشياء تتسع  
وتتناسل  
كزيتونة حول رقبتني  
ذات يوم أسكت بلا موعد  
فأترك خلفي  
نافذتي بلا سؤال  
أو  
توقيت يدلّني على صوتي  
ينبغي أن أنكر سقفا مفقودا  
في العراء  
وبلادا تتنفس السلّ  
ينبغي أن أنسى

ملكيّة سمائي  
والوطن المتكرّر  
أيّها المبعثر

أيّها المبعثر  
أيّها المبعثر  
بين وجهك وأجنحة العصفير  
أيّها المحاصر ...  
بين الرّيح والتّجريد  
كيف ؟!

تتركني حجرا للتداول  
ووجها مبروكا  
وتكاثرا ...  
فوق سطح القمر

أنت جداري  
ومزماري النّحيل  
وممرات لاتصل إلى حرّة الرّيح  
وقفت على حائط جبهتي  
تحسّست أنفجار بكارتي  
والبحار التي تسأم لوني  
وصراخ صوت هاجر  
وشيخوخة جلدي  
يطير الرّماد ، فيكشف عن  
وجهي



وهو يحترف الملامح  
ضائعا

بين العودة إلى الحدود  
ولعبة

الحقيقة والخنجر  
ظل آخر ....

والصورة صوت خريف دائم  
نحن ...

لا ننسى نوافذ السطوح  
ولا أسباب الحرب الرخيصة  
أو

الوطن  
المسدس  
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sekhat.com>

سأترك خلفي خطيئه يتلحفها صمتي  
وذكريات ضائعها

الزمان

الموت يمر

والوطن أرجوحتي

بين الخناجر والنخيل

صورة

للبلاد المنسية ،

أو

انتحار لبراءة موت

الرّماد  
كان عمرا أرضياً  
وتحركاً وتحركاً  
لمدن عاشقة  
واحتضارا  
لشارع طفولي  
وتقمّصاً

لطلّي  
في الرّماد  
يمتدّ الأفق  
إلى...

جرح رؤيتي  
ومسمار الإنحناء سماء نافذتي  
وتقاطيع ....

حروف وجهي.....  
وسبباً للتراجع إلى صوت  
يابس ....

المطر تساقط  
والفصول دروب للإلتفجار  
ومرة أخرى على حافة لصراخ  
ينتهي مسائي....

في صرير لحمي  
وأفتراس الحدود

حبيبتي  
بصمات خطوط زرق  
ومدينة  
في آتجاه قلبي  
وعصافير  
تتعرى من عورة فضاء قادم  
وجدار أطفال السلاسل  
قريبا من ذاكرة الماضي  
تنحو الفكرة على مشنقة  
ونحن بعيدون....



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

لنا صور ... ورصيف بلا مدن  
ماذا نقول والمساء خنجر  
وميناء لا يتكلم  
والصور عادة لوجه القمر  
والشبابيك ذاكرة لسطح الليالي القادمة  
وجمع للذي يأتي  
من مكان سزاه  
يحتفل عاريا  
ورائحة الدّم في إبطيه  
من مكان سزاه  
يذبل كالورد بلا سبب  
ويهرب من أفقي  
إلى شكل سؤال

بين تأريخ البعده وذاكرة الزمن  
ويُفتح باب المفاجأة  
حتى نمر ...  
ونبيع أشكالا للموت  
واعتراقات للحب  
الريح ...  
وقوف على الأخضر  
والليل احتراق  
والبلد البعيد يريد ظلالنا  
وتعلم



لبياء القمر الحزين  
الوجه البعيد تكوين للبحث  
وولادة جديدة ...  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نحن شعار لوطن سيكون  
وأشواق للتذكير  
سيكبر الموت  
وفمي طائر جائع  
يستيقظ على حدود  
الغد ...  
سيكبر الحوت  
وتغادرنا جلودنا  
فتحترق رياح البكاء  
وتموت مرحلة

فتولد سنبلة  
وأختبأ جديد  
مرة أخرى  
يحدث الظل  
بدلاً عني  
ونوافذ المدينة  
حديث عن الماضي  
ورحيل إلى البحر البعيد  
إلى ....  
خضرة الأرض التي أنتحرت  
بلا سبب  
نوافذ المدينة  
قمر الطفولة  
وغرفة  
أحذية الجنود  
مدخلا إلى سماء موتنا  
وأطواف الياسمين  
المنحوتة على  
مناديلنا  
من داره البعيدة  
مساء البريد يدفن ذاكرتي  
ويعشني ...  
غصنا "ميّتا" لقبور الأصدقاء



في الضَّوءِ سجانرَ لشفاها  
وعصافيرَ تهاجر  
خلف أسوار نافذة مهجورة  
من داره البعيدة  
يقبِّد الحلم  
ليفسرَ صرختي  
بوجه آخر  
لوطن مفتت وأصدقاء يولدون  
بين ألياف الشجر  
من داره



يأذن بالإنحنا  
فوق قبور ولادتنا  
لحراس جثث الليل  
سيكتشف عن صدر حدود شمسنا  
حينها سنعود من النهار  
إلى تعب الطريق  
إلى الأفق وهو يرث  
الغناء

من داره  
يختبئ  
لمعونا بالإغتراب  
يمحو أنتظارنا  
وموتنا المؤقت

في مدن الأمل المفاجئ  
سيرجع إلى المرايا  
سيرانا  
هزيمة أخرى  
وآرث لريح ملامحنا  
خبأه وأنحنى كقوس أنكسار  
مرّ تحت النافذة  
فاحترقت  
جهات ميلاده  
أحترقت مساءاته  
كومضة حبّ مفاجئ  
وجسد ثقّبه الرغبات  
وخدشته البلاد البعيدة  
لا تدخل ظلك  
فالأرض  
حقيبة تتسع  
وتناسل لأسمائنا  
في الطرق البعيدة .

تموز 1999 الناصرية

# الغريق

شعر : محجوب الطرابلسي

لمن سوف تحيا  
وعيشك قبر وقهر وقفر وقبر  
لمن سوف تشدو  
وتغريدك الآن مرّ  
لمن سوف تعدو  
وأنت القتل وأنت الغسيل  
دماء تسيل على الأرض تقطر  
وأنت من الذبح رقص  
مو الليل بدء وختم  
ورجع نباح الورى للوراء  
كي يرى  
هل يرى يا ترى  
ما نرى ؟!  
سنرى  
وهذه عين وطاد وفاء  
تنادي الغريق  
إليه الغريق



مضى العمر مني  
فكم سوف أحيا  
لأعلم سرّ الحياء والحياة ؟!  
وكم سوف أقضي  
من الوقت حتّى  
ألاقي عقولا

تصون لغاتي  
وتأتينني بالنار والنور  
في كلّ حين وآت ؟!  
أنا الآن وحدي  
جمعت شتاتي

  
حطام الزجاج  
بروحي لأحيا  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هي الشمس تغرب عند الصّباح  
وتشرق عند الأصيل .

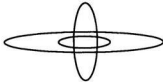
أنا الآن وحدي  
أرى كلّ شيء يخون  
يؤول سرايا

كما الخيتعور  
هو العقل مثل الحمام يطير

كما الحق يمضي  
بعيدا ويعلو  
ولا.. هل يعود ويجلو  
ويأتي علينا غبار جديد  
نصير كالتراب البليل ؟!  
ليشهد كل الذين رأوني  
على شاطئ البحر  
أسرق ماء ورملا  
بأن الجنوب سكبت  
له الدمع حتى آرتوى  
ولكنه أرعوى كم عوى  
فماذا تريدون مني  
..وأكثر ؟!  
هو البحر ينضب  
مثل الصحاري  
ولا ينضب الشعر  
في قلب شاعر  
أنا الآن أمضي  
إلى من أناديه وحدي  
كتابي يميني  
وقلبي يساري



أريده أن يستلذّ مرارا  
بتعذيب جرح وقلب وعقل  
تمادوا طويلا  
في رجم شمس  
أضاءت لهم  
كلّ درب ، سبيلا  
فحالي كحال الخفّاش  
وحال الفراش  
فأوّل في النور يغشي  
كما الثّاني يمضي  
إلى النّار أعمى .



# ومضات من الشعر التركماني العراقي

شعر : فوزي أكرم ترزي / ترجمة : أنور حسن موسى

## 1 - أعياد الميلاد

في أعياد الميلاد  
تلد كلّ عذراء يسوعا  
وكلّ امرأة محمدا  
لينبرا معا

## 2 - تدبير ذاتي

أشكر عينيك  
لأنّهما تمنحاني السكر  
مجانا

في زمن الحصار

طريق السّلام والايّمان

## 3 - العاشق الأصيل

كلّ الذين آفترخوا  
من مثلث عينيك  
ماتوا

إلا أنا !!!

## 4 - الكوكب الحلم ...

منذ قرون

وأنا أبحث عن كوكب

يستقرّ عليه الإنسان

كانسان

فلم أجده إلا

في مقبرة الأحلام ...

## 5 - الزّمن الأزرق

لعلّ إعجابي بزرقاء اليمامة

منذ الطفولة

جعلني أحلم بمدن زرقاء

وبازار أزرق

وسماء زرقاء

وبفتاة زرقاء العينين

## 6 - ما جدوى

ما جدوى اللسان

إذا لم ينطق باسمك

والعين إذا لم ترك

والأذن إذا لم تسمع صوتك

واليد إذا لم تلمس خصلات شعرك

وما جدوى العمر

إذا لم يمض معك .....



## ذاكرة الخرافة

شعر : محجوبة الجلاصي

\*

سوف يمرّ جسدي

هيكلا نهشته

خرافة مهزوزة

\*

وقصة عشق

ARCHIVE

\*

فاجأتها الخيانة

لحظة أنقشاع الضوء

\*

سوف يمرّ جسدي

فارغ قلبه من النبض

ممدّداً على النعش

\*

وباب القبر مشرعا

والموت كالوشم

\*

يرسم انتصارا

آخر ...

\*

والنائحات أصواتهنّ

تقطع غضب الريح

\* هذا وجهك  
 أبي يباغت ذاكرتي  
 \* وأنا مازلت هاربة  
 من وجع أسنلتك  
 \* أبحث عن صوت  
 تائه في فلوات الخريف  
 \* تضيق بي المسافة  
 فأهرب مني إليك  
 \* وأصرخ في العابرين  
 على جرحي ...  
 \* تمهلوا فأقدامكم  
 خانت العهد  
 \* داست على حلمي  
 هارب وجهها منها  
 \* والشمس تحجب صوتها  
 تباغتها ... لتحترق الأمنية  
 \* فأطرحي ظلك على  
 ظله ...  
 \* ودعيهما يصعدان للموت  
 ويبعثان من جديد  
 \* لموت آخر  
 هشيم رؤياك

\* تجرح الضوء المسلط  
على وجهك

\* تسيل حيرتك  
تلملميها ... من قاع

\* التحدي  
تطلقين رؤيتك

\* بعيدا ...  
هناك الأقحوان

\* ينتظرك ...  
فتعلمي من الآن بأن لا تخوني

\* وسوف يأتي  
شطر وجهك الآخر

\* فهيني له خرافتك  
الجديدة ...

\* وأحرص على أن  
لا يفاجئك الصباح

\* وأنت في أول الخرافة

\* جويلية 1999

\*



## فصل من : "على تخوم البرزخ"

بقلم : المحسن بن هنيّة

تنقلب البصيرة ... عن البصر تنفصل ... تسلك مسلكاً داخلياً ... الوصل مع البصر منحل ... تأخذ معك البصيرة . تسكبها على صحف منتشرة في تداخل وتعارض على مدى الصور المعتمة في قماريس الذاكرة ... لا البصيرة معك تجدي ، ولا البصر معي ينفع ... فهو كليل منصرم ، يكرّر عادة العودة ، يعيد دوراً أداره من قبل ... يمسك حبل الطريق بلا عصمة ... يلوك اليوم ما خطه بالأمس من حين لحين يراجع البصيرة في شأن نبأ الصواب . فتهديه في لمح . ثم تعود غارقة لاهية في لجج ركام عذابات شأت أن لا تستقيم . فهي تقارع هذه بهذه وترجع القرع جواباً تكرر ...

الوثيقة ما قبل أمس الأمس لم توقع ... وقعت ... لكن الغد أمكن من اليوم ... مراقب أموال المجموعة ليس من الخسوف ...  
أما وقد كان الغد وكانت "الوثيقة" ... الوثيقة بها خطأ ... تعاد البداية حيث أمس ، أمس الأمس ... عسى أن يقوم الخطأ . ويزول السبب أو يكون الغد أو بعد غد أو بعد الغد أقوم .

تسير السيارة مشرقة لتغرب ... يتحسّن البصر بقايا تحديد من البصيرة . الطريق سلكتها كثيراً ... أتجاهها ... منعرجاتها ... خبرتها منذ العديد من الأمس ومابعده والعديد المتعدد .

الطريق مستقيمة تتعجل دوران العجلات . فلا جهد لتبيان شرقها من غربها ... أسلك يدك بالمقود واتّجه . تبلغ شأوك بدون سوء .

شاطئ الجريد يتسع في مدها البصر ... يتحوك فيه الصمت إلى أنفاس ، ثم لهاث يتفصد عرقاً ماء وأخيلة كاذبة . الأرض لم تخرج مرعاها إلا آستثناء بعض الكلا من نبات تمرس بالقحط وخبر الفصول ... يمتصّ من تحت القشرة ندى وملحاً فيلفظ

الملح ويسكن في داخله الطراوة، فيكون على الهجير من الصَّابرين . الشبه بين  
أهلي هذا البلقع من الشعابين والأفاعي يحيل الطريق وقد استوى شبيهها فشبهت  
للبيصر بالأفعوان الخرافي ... السَّيَّارة تلتهمه ... تلاحقه ... يثثناً ... يفر ...  
يتعرج ... يتمطط .

أنا أمسك زمامها ، أطرافي جبلت على ما يجب من الحركات ... تؤيدها  
بدون أمر .

ومضات من التبصر تومض من وراء الخوف . وقد أخبرت العلامة، جمل يدفعه  
الكبر أو الإلتحاق بالنق التي مرّت شمالاً فتقع واقعة ليست في الحسبان.

هذا أنت ... أو أنا الطافي ، فوق عقد التعقيدات ... برجعك السؤال . كيف  
لهذه الشجيرات تتسامق ... يتحجم حجمها بالتضخم خداعاً ... فهي كذات  
الأنواع يهزها ماء، كاذب هو السَّراب يتحايّل على العين فيقلب إيصاري لها ...  
سابعة فوق بحر وكانَ ربحاً رخوا تسوقها . ومضات الخشية تعبدني لملاحقة  
الأفعوان وقد تمطى في عناء ...

لكنك لا تستطيع تعني صبرا على الإمتزاج ... تظنر الواصلقيني وبينك . أو  
بيني وبينى وينحصر شأنى في أطراف تمسك المقود وأخرى تكبح حين يكون للكيح  
داع .

لا أملك لنفسي اختياراً ... فتوسوس المعقّدات لي ... تلقى بي في يَمها ...  
ويشدّ الفرق على أنفاس بصيرتي ... تهزني موجة المصارف .

\* الوعود بالإنفراج عملة لاتصرف

\* الصَّكوك إذا جاءت وحلَّ أجلها لا تؤخَّر .. إمّا وفاء وإمّا سجن

\* الجباه قولهم فصل ... دينهم أصل

\* أن تقسم بالسَّماء وحتى اللَّات والعزى فلا تسمع الصمّ إذا أعرضوا

\* دعواهم نافذة ... يدهم فوق يدك

\* تطولك الأتذار .. العقلة التحفظة

\* ويعد الوعيد التنفيذ فلا راد له حتى وإن أحتमित بركن شديد .

لا تبتر صلتك بي وخذ بيدي . فالجبل راص . ولا يمرَّ مرَّ السَّحاب . الأفعوان

يتلوّى يضرب لنفسه في الجبل مرّاً ... يتصاعد ليترك عن شماله أو يمينه هوةً  
سحيقة . مطبّتي . كما حصل في يقينك - راحلة لا عيون لها . ولا غريزة خوف  
تسكنها .

القيظ يشتدّ أنفاس الرّيح تخنقها الكهوف ... الظّهيرة حلت وهدأتها تربّت على  
رأسي ... بصري كلّ... غاشية من النّعاس حلت قريب منّي .

أنا بك موصول ومن لدني لك عذر . فلا تغدر بي ... خذ لك من الحذر  
نصيب ... ما دامت المعقدات معقدة وحبلها من يدي متصرم . فلنأخذ لك ، ولي  
راحة . في راحة هذا الجبل . حيث يجشو هذا الحان ، ينتظر في صبر أوبة الغادين  
ليتنعم من أعبته الطّريق وأصبح التّركيز عنده في فتور . بكأس شاي قد بفلح  
مفعوله في دحر الكلل .

تهجع المطيّة ... يخدم هدير دوافعها ، أتمجّع بك... أنت أنا في الواحد ...  
البصيرة تشدّ على البصر ... سدّت المداخل والأبواب . غلقت ... حضر المكان ...  
الحان نبضة أنس ... أمشالي خطوا رحالهم ليقبضوا على شيء من السّكن ...  
ويدحروا بواعث التوتر ، ويسوا أسباب الضّعفي . وآخرون جازوا والفضول يدفعهم  
لمشاهد التعس وملامسة الشّظف والخروج عن التّرف واكتشاف الطّبيعة كيف تكلع  
وتشع وتتجرّد من كرمها ... لا يتنعم الذّوق بالحلاوة ما لم يتجرّع المرارة .

قلت لي لماذا أفسّر مشاهدي بلغتي أنا فقط ... ألم تر كيف تأتيك مشاهد من  
وراء أيّام أتى عليها الدّهر فقلت ... مشاهد تبعث حيّة من جديد ... يحضر  
كانويتأوّد معطوفاً علي الآن... يتحايث المكان من حيث كان إلى حيث الآن . يصل  
الزّمان الزّمان . . علاقة الوصل تتناسج... فيأتي منّي إليّ السّؤال .إنّها ميشال ...  
تلك كلارا ... وبيتلع الآن صورة هاماتا ... تحضر لكلّ واحدة منهنّ ربوة بين بصري  
ومخزون أمني . ميشال ... أصابع قدمها نضت النّعال عنها . لتستريح على خلفيّة  
مقعدي ... أحسّها ... تتولّد لحينها الرّغبة في تبيان الحسّ . تتحرك منّي اليد...

ملمس طريّ...لذة تسري . لا القدم تنسحب ، ولا اليد تتولّي ... ينبلع من  
حسنّ الملامس قبس نوره لا يبصر ... لناره كيّ لذيد ووجعه رعشة .  
يغشي المكان الغياب منّا . لا الجهاز يبعث صور ولا صوته يطرق مسامعنا ...

لا الحضور لهم في مجالنا حضور ، جمع الشّعور فكان الحسن بين اليد والقدم والملمس الملمد .

... تقولين إسمك ميشال ؟ الإسم عندكم يذكر ويؤنث كأسماء العرب ... تعرفين عنا قرض الشعر وحب النساء ... وأتينا أشهر المزاوجين ... ما جئت غرقتي هذه التي فوقها غرف وتحتها غرف . إلا إديارا وفرارا من دروس الأدب ... إذن شيء من اللهو...؟ تدعين لعب الشطرنج ...؟ على رسلك ولكن لا ضير من الأدب أن يلهو معنا الشعر !!

كان الإستعصاء بلبس ترجمتي تشوها ... فالشعر يسخ ولا يستقيم غير مسخا إذا تحوّل عن أصل لسانه . فهو كالزجاج لا يعاد سبكه .

... فهمت منزع هذا الشاعر وهو يلعب بجيبته الشطرنج ... إذن يلعن المنحى ... نعم كان لعيه كلّ دست يقيلة... كيف ؟ عظيم ..؟ تستزيدين عليه شرطا . أكثر حشا على المغالبة . المغلوب يقبل الغالب في سريره . الغلبة لك ، وعلى الإنصياع للرّهان .. تطمئنين في فحولتي ، إذن الحكم عند الصباح إما أن تكبر الصوّة ويقرّ للفحل بالضراب...أو تنقلص الصوّة لتبلغ القدر المقدور .

تشهد الآن غرقتي مشهدا . كان شدّ الوحى بك... وهي تتمثل نحنا غريقا لآلهة الجمال . فجاء وحم الوحى أنت ، تجمع خيولك ... تقاتلني فوارسك ... أفتح عليك بحاري في كرّ بلا إديار تأتي على حدائقك جداول ريّ وأمطار خصب ... تلوذين بي ... ألوذ بك من الفرق .. يمتصّ ثراك أنهارى ، تزه روابيك أكثر ... تتبعشرين وأتبعثر ... تتفتّتين وأتفتّت ... تمتازجين بي ... أمتزجفيك ... تجمعينني أجمعك ... تلمّسيني أملك... يخبو زئير العاصفة... تسكن صقور الرّغبة الهصيص . في انتظار ربيع للخصب جديد .

يقتدي القرنين بالقرنين ... يقع على مثله ... يحمل الصّحب "كلارا" تلتئم فيها مزايا الحسن . فالشاعر تجربته تروا على خبرتي ... الكفل رومي ... الأسنان خزاعية... الأبدان تهامية.

\* تقولين إسبانية ؟ من غرناطة ؟

\* تقرين تزواج الأمم .. إختلاط الأنساب

\* تحلمين بفارس عربيه يمتلك شاعريّة لوركا .

\* ورثتم عن العرب الموسيقى ومنطق الجمال وروح البحث .

طوبى لي بغدق النّظر في نعمك ... ماضيك صدع يرجع جذك طارق ، وقد تعمم  
بعشق الكر إلى الأمام وبغض الفرار إلى الورا .

همت بك

صاحبتى ... خرجت لي من رحم الشّعر

جئت من نسغ الزّجل والموشح

خرجت من عطفات ولادة

\* .. تعرفينها ؟ .. لكّنك لست من ضياء مكّة صيدهنّ حرام ..

\* .. تمنحين خدك .. أيضا ترغيبين المزيد من حقك .

لفحة من الهجير تلفح وجهي ... تنفتح أبواب بصري على الحان الجائي في راحة

"جبل أم علي" يتلّى البصر في التفاتة متى ... تبرز لي ذوائب قسم "أم علي"

كرووس الثّنائين ... لهب أبيض يتصاعد منها ... ينث أنفاس منها هذه الرّيح . يبرز

السّؤال ... يتهايل ... يتعالى ... يتسامق ... يحجب مادونه ... يلغي الحقب

. يزيل في ظرفة عين مسافة الزّمن . يخضوضر الجبل ويأتي لراحة "أم علي"

سعبا من صفوا العليا haut savoies ... تجري من تحته الجداول ... ينزل من فوقه

عمود من الماء ... شلالا يشعّ ألقا ... بداعب في نغم سرمدي أهداب البحيرة .

أجساد ثلاثة رابعهم أنا ... نضونا الثّياب ... خلعنا الحياء وحتكنا المستور ...

الماء والضوء وخضرة العشب ... الشيطان غلّ ... الشجرة المغرّة آجتشت وتجرّدت

من تفّاحها ... مات النغض غيظا ...

يظلّ السّؤال يتهايل بحشا عن كلمة سواء بيننا تفيد ما يراودني ويحيل راحتي

على الراحة .

لماذا هؤلاء السّباح يتركون الطراوة والخضرة ويبحثون عن الهجير ... عن لفح

الشمس ... لماذا يتركون الشلالات في تألقها ويتعفّرون بالغبار تذروه ريح صرصر

كالحة . لا جواب عندي ... السّؤال يتكثّف ... يتقلّص ... يشدّ على عنقي ...

وزر لا ينتقض عن ظهري ... يشقل رأسي . أنجرع الشّاي جرعات متتالية ... أتناهى

عن السَّوَالِ ببعض الظَّنِّ وإن كان الظَّنُّ لا يغني عن اليقين شيئاً فهو ملجأ  
تأويل التَّوْازع .

ينزع بي الظَّنُّ إلى أَنَّ الإنسان خلق لجوجاً إذا مسَّه الطرف راق له ملمس تعس  
الآخرين . وسعى لمذاقه وأعاد كرة جدّه آدم والتفّاحة . بقايا تصاحبني من السَّوَالِ  
... لو أَنَّ هاماتنا ، لفضتها حيطان الخوالي من الذكريات ... لأبقيت راحة "أم  
علي" ما ضاعت في ركّام فوقه ركّام من دخان هيروشيما ... لعلّها تغتسل  
بحمم جبال ألقت مافي بطونها . وتخلت عن هدموها لتبعث الوفاء والعمل  
دينا عند اليابانيين ... ثمّ تطفئ فيها برودة جبال الألب في "هوت صفوا" حيث  
حسّنا الرّغبة على التعري ... التطهّر من الدّنيا وينزل الشلال على رؤوسنا برداً  
... متعة ... حباً ... سلاماً ... تكون لحظة الفناء لا ينزل ساحتها ... تخضر  
لتمحي الأيّام ويتوقّف الزّمان حيث هي .

استنهضوا مطاياهم وركبوها فسارت ... وجذبتك من ماضٍ فقدته ... يحضرك  
في الحاضر ... متى استحضرتَه خوى حاضرك ... ولكن حاضرك يزعم فيك .  
ثب إليّ ... تجرّع ضعمي ... ما ليس في يمشك سواب ... لا يطمعنك ما ...  
<http://Archive.Satya.com> فلا يزيدك إلا عظماً

قم لي وتذكّر ... أليس لك ميعاد ... أليس في انتظارك صاحب المصروف ،  
الدّائنون ... أجر من عمل ولم يوفّ أجره ... وهل الكلام يفك ضيقك أيغني من  
الأمر شيء ... فكلّامك هذا ما لم يطلق عقال الوثيقة فتكون ما لاتقوم به ما تشرخ  
من الأعمال .

أدر المفتاح واستنهض مطيّتك ... تصعد مع الأنعوان ، لا يثنيك القبط فلا  
راحة في هذه الرّاحة ... استعجل المسافة ... أعد الكلام الطيّب ... الأعذار  
لاتعذر . قبل ذلك تجرّع قهوة مرّة عسى أن تفعل ما عجز عنه الشّاي .

# الصمت والصدى

قصة قصيرة :

بقلم : محمد كريم النيفر

"إننا نعكف على ذواتنا في الألم وحده ،  
إذ هو يمكث وحيدا معنا ... روني لوسان

المكان : قبروان السّجن والحزن والصمت الأذرد ...  
الزّمن : المأساة إذ ترخي السّدول مخالطة ..الوجع الأزرق ... حدة  
وحدة ... شتات مبهم ...

وحيد أنا في هذه الغرفة الغريبة .. جالك هو الزّمن فيها ،  
يكسر الحال ويحوّل دوني ودون الحياة ... لا شيء في المكان يوح  
بوجود مكان ... قطعة شمع قديم تحترق هي الأخرى مثل وجعي  
، مؤخّرة سيجارة ، كلّ ما فيها منبئ بالرحيل ،... جدران مزقها  
الزّمن وتلهث بزوايا العناكيب ، تدبّ دهبيا ناسجة الشّرك بين  
حنايا الصّدع عليها ، لم أعبأ من ذلك كلّه بشيء ، لا شيء إلاّ  
لأنّني كنت قد طردت المكان مذ وطأته ، لذلك ، ربّما أضحي كلّ  
ماهو أمامي نجس ، نكرة هذه اللّيلة المومس ، حين أيقنت وما أنا  
بطبيب ، أنّي مصاب بداء الكلب... حين دخنت أقذع سجائر  
الأرض وما آرتوى جسدي الغريب .

حزين أنا ، لأنّ وحدتي والصمت فيّ والحنين ، ظلّوا مثل يتامى  
الأرض مشرّدين في شوارع الزّمن ... ذلك العجوز ، القابع  
أمامي الآن الّذي لا يروقني كثيرا وجهه الأخشب ، الّذي قدّ من  
حراب غشاها الصّدأ ، وإبر ، وألياف مخدشة كجذع نخيل ...  
ذاك الكائن الّذي وحده بين الحين والحين يرميني في بالوعة من  
وجع دميم .

السّاعة الآن سيّدي الزّمن ... الفجر أو قبيل الفجر بقليل ،  
فلتعلم أيّها الشّيخ أن طلسمك قد كسر بوصلة الحياة فيّ ... شلى  
إنسان الآن أنا ... أرق بالليل ، غريب بالنّهار ، وذويان فيك ما  
بينهما منك .

أعرف جيّدا سيّدي أنّك قادر أن تفعل بي ما شئت ، كما  
أعرف أنّي سأكون اللّيلة مثل أيّ ليلة شهرزاد من شهرزاداتك  
الكثيرات وبني تحلو المسامرة ... ولذلك لن يروقتك أبدا أن تفكّ  
وثاق جسدي الضّعيف ولا أن تشفق قليلا على روعي الهزيلة  
تلك الّتي باتت تغويها المسافات الطويلة دون أن تروم المغادرة  
فتبقى رهينة لك حبيسة الجنون والحنين .. أمّا الإنتظار والإحتضار  
فسجنان قاسيان ما أظنّها بقادرة على الإفلات منهما ... لا  
لشيء إلا لأنك كنت قد نفخت يوما فيهما من روحك القاتلة .

كم ثقيل أنت أيّها الزّمن . بذيء أنت ، رديء ، قاحل ، قاتل  
، بائس أنت ، يائس مثلي أنا ... إضحك منّي ، لا تقمع البسمة  
فيك ، فجرّ كلّ قهقهاتك فيّ ما شئت ... متى شئت ... طوبى لك  
سيّدي ... من حقك الآن أن تشرب لوحذك نبيذ النّصر زلالا ...



# المهر

بقلم : عادل محفوظي

صعوبة العيش وقسوة الحياة وسوء التفاهم أدّت بقارب زواجهما بأن يرسي ميمنا الطلاق خاصّة وأنهما لم ينجبا أطفالا ممّا قد يجعلهم عرضة للتشرّد والضّياع ... لقد تحاورا مليّاً وتناولا الموضوع من كلّ جوانبه فلا أيام الحبّ والهيام بمواعيدها الخفيفة ولقائهما الحلوة ولا فترة الخطوبة قدرت أن تحلّ مشكلة الكراهة وفواتير الإستهلاك وكلّ مستلزمات الحياة وحتىّ شهادتهما العلميتين لم يجدا لهما حظّاً في عديد الإنتدابات التي يطالعانها على صفحات الجرائد يومياً فقد كانا يعيشان من بعض ما يجمعانه من أجرة مقابل دروس إضافية يقدمانها لبعض التلاميذ بطيحي الفهم ووفيري الأموال ... ولكن ماعساها أن تفعل هذه الدنانير القليلة البائسة في ظلّ ارتفاع الأسعار ... مقابل انخفاض قيمة الدينار وهذه الأسباب كان خراب الدّكر ...

جلس على كرسيه تأوّه وزفر زفرة طويلة وهو يتصفّح "الأيوم" يحوي صور حفل زفافهما هي آخر ما تبقى من ذكريات لازالت تجمعه بظليقته ؛ تناول مقصّاً وراح يفصل جسمه عن جسمها ويترّق جسم حاته متلذّذا كلّما ظهرت وهي تبسم !. راوده النيكوتين .. توقّف عن تصفّح "الأيوم" بحث

عن سيجارة .. لم يجد ... فالعلبة قد نفذت منذ حين ... عاد يتصفّح  
مرة أخرى ... فجأة علت الإبتسامة محيّا لسان حاله يردّد المثل  
الشّعبي "قصّولو يدّو جات صالحة للطنبور ..." فرمى بالمقصّ جانباً وراح  
يجذبها مطاوعاً بكلّ رفق حتّى أمست بين يديه بالية متآكلة الأطراف

تكاد الرطوبة تأتي عليها .. تأمل جيّداً تاريخ يوم الزّفاف وإمضاء  
العروسين التّذكاري لا يزال شاهداً على وقوعه في فحّ قفص الزوجيّة ...  
تناول قلماً وأضاف : " أيّها النّحس إن كانت لديك كرامة وشهامة  
"بنودينار" أن لا تريني خلقك بعد الآن فبك تزوّجنا ولأجلك تخاصمنا  
وسيبك طلقنا ...".

وتذكّر حماته ليلة عقيد القوان وهي تتلو عليه أسطوانتها المعهودة  
:أسمع يا صهري إنّّه لاينار المهر فان حافظت عليه فقد حافظت على ابنتي  
وان أهملته فقد أهملتها... حينئذ طوى الورقة النقدية بين يديه وخرج  
مسرعا إلى بائع السّجائر ...

مرّت الأيّام فضاقت به الدّنيا ونكّلت به مرارة الطّلاق فسئم ولم يهدأ  
له بال إلا في إحدى الليالي الشّتائيّة الباردة لما ألقي به قارب صيد  
صحبة البعض من رفاق مهاجرين على السّاحل الإيطالي : فاشتّم هناك  
رائحة الغنى والحريّة الغادرة وسهرات المجون والليالي الحمراء وظلّ بضعة  
أشهر يجمع ما لذّ وطاب من أموال بشّى الطرق منها الحلال ومنها الحرام  
حتّى أمسى متناسياً أهله ووطنه لو لا أنّه فوجئ ذات يوم بأشعار من

سفارة بلده بالحضور المؤكّد فلبّى الدّعوة وهناك تسلّم برقيّة من مطلّقتة  
تعلمه فيها بأنّه أصبح أباً بعد أن تركها حامل ... فقفز صارخاً تعمّه  
هستيريا من الفرح والسّرور وراح يجمع أمتعته عازماً على الرّحيل  
ومغادرة ديار الغربة ...

كان متّكناً على المقعد الخلفي يتأوّه ويردّد متجاوباً ومتفاعلاً مع أغنية  
تراثيّة لطرب بلده الأصيل أسمعها إياه سائق التاكسي الذي أقلّه من  
المطار إلى باب الدّار أين نزل يجمع حقائبه بعد أن سلّمه أجرته وهمّ  
بالإنصراف مسرعاً يحمله الشّوق إلى رؤية فلذة كبده لو لا أنّ السّائق ناداه  
مفاجئاً لإرجاعه الصّرف فتسمّر في مكانه وهو يراجع الورقات النّقديّة  
المتبقّيّة لما قرأ على إحداها : " أبها النّحس إن كانت لديك كرامة وشهامة  
"بنودينار" أن لا تريني خلقتك بعد الآن ... فبك ... تزوّج... " .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

# أسطورة اللون الأبيض

بقلم : نهلة علام العياري

حبّ في الخمسين بين محترف مهدّد بريح تذرّو رماده وساديّ قطف كلّ الورود لجعل من عصيرها أنهار دماء .  
قلت سأكتب كلّ الذي لا يمكن أن يكتب في رواية تأخذك معها الدهشة ولكنّ الذي لا يمكن قوله ينم بين طبّات أوراق نظيفة جدّاً . فماذا لو تبوح الأوراق بأسرارها وتخون بياضها يوما وتلتحف بقاموس القذارة .

يقولون إنّ البياض بضاعة ونقاء وأنّ الورقة البيضاء في الدفاتر المهمة مشروع أوقف تنفيذه ولا يعلم الذين يخدعونهم وضوح اللون الأبيض أنّ تلك الورقة البيضاء هي الحكاية وأنّ حروفها الشفافة لم تعجز عن التواري وراء كثافة اللون الأبيض .

يكتب المرء منا هذيانا يلوّث به نقاء الأوراق ويظنّ أنّه انتصر على الفراغ وأنّ أجمل القصص تلك التي آستيفظت من فضاءات الأوراق البيضاء وأخطر الأسرار تلك التي آنبثقت من وراء ضباب الورق وينسى أنّ في كلّ ورقة بيضاء هزيمة جديدة وأنّ قصصا أخرى لا يعرفها ما تزال تنعم بسبات الدّهاليز البيضاء وكم من الأسرار تلحّفت بملاءات ثلجيّة . من أيقظ في نفسه شجوناً قديمة اليوم؟ فأنكفأ على دفتري من جديد كما ينكفيّ الطفل إلى صدر أمّه إذا أحسّ بظلم العالم . خمسون سنة من الحلم الذي أخذت تتصاعد أبخريته الكثيفة . تستوقفه بكلّ ما تملك من وقار ومن آنهايار لكلّ الحدود والمساحات وترهّل للذاكرة . تستوقفه في وقاحة دون مراعاة لأحزان قديمة ولوحات زيتيّة

تراكم عليها الغبار أمام لوحة رسمت عليها الحدود بوضوح وتألفت ألوانها  
وأزدانت كما تزدان شوارع المدينة في ليلة عيد .  
أي فرحة تقدر على المراوغة اليوم وأي حزن يقدر على العريدة ؟  
رأها معلقة على جدار من جدران ذاكرة منسية فذكرت سنواته الخمسين كل  
الحكايات المرسومة على الجدران المرفوعة . وأخذها بين ذراعيه وهو غير  
مصدق أن الرماد المتبقي من لهيب أحتراقه والدماء المستخلصة من كل ورود  
العالم يمكن أن يكونا لوحة فريدة .

قالت لوحته وهي بين ذراعيه « أريد أن أغتسل في مغاسلك الخمسين  
فتنحل كل ألواني ولا يبقى سوى البياض . اجعلني لوحة بيضاء من لوحاتك  
القديمة » . فقال لها في آرتباك من فاجأه الطلب « أخشى البياض . لوئيني  
أنت وأعيدي إلى ثوبي الناصل بهجته القديمة » .

وسقط الحوار في العتمة وتقطعت بهما الأسياح وخشي على نفسه من  
أذاها وراء الملاءات الناصعة والسباحة في الصفحات البيضاء .

وتحسستها بين ذراعيه فألفاها أخذها النعاس وأسترخت عضلاتها فأخذ  
يتأمل ألوانها البهية وقال : « يا سنواتي الخمسين كم يلزمك من الأناينة حتى  
تسليها ألوانها وتزيني بها ؟ وكم يلزمها من الجهل حتى تحب الأثواب التي  
لا لون لها ؟ وكم يلزمها من الصبر حتى تألف صمت البياض على أسرارها  
وسكونه عن البوح ؟ أحسن منها للممة ففك عنها الإسار وأجلسها على ركبتيه  
وأخذ يقص عليها حكاية عن ألوان الطيف لما اجتمعت ذات مرة في السماء  
تحتفل بنور الشمس وقد أخذ كل لون منها زينته فكان السماء كرنفال بهيج  
وجاء اللون الأبيض ولم يجد له جسدا يكسوه ثوبا ولم يجد لونا يزين به ثوبه  
فأخذته الغيرة من الألوان وسرق منها أثوابها جميعا وسترها تحت جلده فوجد

أنه أحتواها ولكن ضاعت الألوان وتلاشت ونصلت أثوابها فيه فتعجب الأبيض  
وحار بصره في ما رأى فقالت الشمس في لهجتها الملكية: «أيها الأبيض  
قدرك أن تموت فيك كل الألوان ولا يظهر على جسدك أي أثر للدماء وأن  
تتكس الجثث تحت إهابك ولا يبدو منها ما يشير إلى ذنبك فيعلم الناس سرّك  
ومصيرك أن تكون رمزا للنقاء وأن تشقى بوزرك وحدك وتكتوي بلهيب جرمك  
منفردا ولا سبيل إلى طهارتك إلا بأن تتدنّس فطوبى لك بكلّ قذارات الأرض  
تكفّر بها عن ذنبك وتفتح لك باب الخلاص ». ومدّ يده إلى مستمعيه  
وداعب خطوط وجهها وتقاسيمه محاذرا أن يتلف شيئا من ألوانها الجميلة  
وقال: «هل فهمت أن مغاسلي التي تبحثين عنها لا صبر لها على التواطؤ  
مع الأبيض من جديد لأنني لو لا لوحتي الجميلة اخترت كشف سرّ الأبيض  
وفضح جرمته. سنواتي الخمسون وحدها تعلم بوزره. شيخوختي وحدها كفيلة  
برسم كلّ الأوراق المخلصة للأبيض من سجن نقائه الزائف. ارحلي صغيرتي  
فالمعركة أكبر منك. أنت من عصرت ورود العالم انتقاما فجرت من عصيرها أنهار قانية لا  
يمكن أن تعلمي أي دماء تسري في شرايين اللون الأبيض ».

لقد أحببتك ولا سبيل إلى النكران ولكنني تهدّني رياح صفراء يذرّ رمادي  
من محارقه وأنت بعدك الربيع بتيجان من وروده الملونة وأنا وعدت بحمل  
أوزار الأبيض وتخليصه من ذنبه بما يمكن أن أحمل له من أدران جديدة لا  
يحتملها ربيعك النضر .

ارحلي صغيرتي وابحثي في دريك عن أصباغ وألوان تخفين بها صفرة  
الليل وستجوب نظراتك المتعبة ولا تخجلي من سترها الآن وقد علمت حكاية  
الشمس وألوان الطيف وتعاسة اللون الأبيض .

# قراءة في حصاد موسم ثقافي

## بجهة سليانة

إعداد: حمادي العكرمي

شهد القطاع الثقافي بولاية سليانة منذ التعبير الكثير من الإنجازات والمكاسب التي غيرت بصفة عميقة المشهد الثقافي بالجهة وكان لها الأثر الطيب والإيجابي في إحداث نهضة ثقافية متواصلة . فعلى مستوى البنية الأساسية غطت شبكة دور الشباب والثقافة والمكتبات العمومية كامل معتمديات الولاية مما جعل إمكانيات البرمجة عريضة ومتنوعة ومتاحة في كل الأوقات وفي فضاءات تتوفر فيها مواصفات العرض الفني العصري من كل جوانبه بالإضافة إلى ذلك تم تحقيق بعض المنجزات الأخرى التي كانت في أمس القريب حلم براود العديد من شباب ومتقفي الجهة . نذكر من ضمنها فتح المعهد الجهوي للموسيقى بسليانة ( نوفمبر 98 ) والانطلاق في الدراسة الفنية لـ 100 تلميذ في معهد وحديقة أترية بسليانة وتجهيز المكتبة الجهوية بالانترنت لتستكمل الجهة بذلك كل عناصر الفعل الثقافي الجــــاد .

مكن التقاء هذه الإنجازات مع ما أظهرته الإدارة الثقافية بالجهة من نضج في الاختيارات وصواب في التوجهات النابعة من مرجعية ثقافة التغيير ومركزاتها من إرساء حركة ثقافية هامة تدعمت في الموسم المنصرم 98-99 بالعديد من الإضافات وغطات الثقافية الجديدة التي تميزت بالغرارة والنظرد والشمول والتنوع كما يتجلى ذلك من خلال هذه النماذج المقترحة :

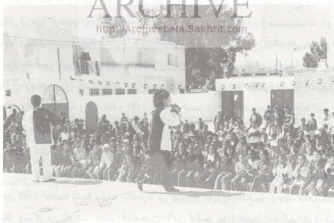
### 1 - تظاهرات تثقيفية :

\* مهرجان المدينة : أمن هذا المهرجان في دورته الأولى ثلاثة عشر سهرة رمضانية منها سبعة عروض موسيقية لفرق (شكري بوزيان ، تقاسيم ، نورة امين ، المنذر بن عمار، العنديل، سمارا، جندوبة للفنون الشعبية ) وعرضين سينمائيين ( صعيدي في الجامعة الأمريكية ورسالة إلى الوالي ) وثلاثة عروض مسرحية في فن الممثل الواحد ضمن الدورة الأولى لموعد



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>





سليانة لمسرح الممثل الواحد الذي ينتظم في صلب مهرجان المدينة وقد أثنت هذه السهرات المسرحية عروض " المكى وزكية" للمسرحي الأمين النهدي و"32 جويلية" للمسرحي المقداد السهيلي و"سلطان القريسة" لرضا العبيدي. ومثلت الدورة الأولى لمهرجان المدينة الفرصة السانحة للباحثين عن سهرات رمضانية تخرج عن المعتاد حيث تابع جمهور مدينة سليانة مختلف هذه العروض بأعداد مكثفة واهتمام متزايد مما مكن من ضمان النجاح المرتقب لهذه التظاهرة الثقافية الكبرى.

الأيام الثقافية الشتوية : انعقدت هذه التظاهرة في دورتها الثالثة لتواصل اهتمامها بتنشيط الجمهور التلميذي في عطلة الشتاء إذ تم إقامة عرضين مسرحيين للأطفال (Ré mi écho)

واربعة عروض موسيقية ( فرقة سناء ومصطفى ) حيث مثلت مختلف هذه العروض قبله العديد من الأطفال للاستمتاع بمحتويات مادة ثقافية جادة ومفيدة .

## 2 - تظاهرات ثقافية علمية

مثلت الدورة الأولى لتظاهرة " الأولياد الجهوية للرياضيات " الفقرة العلمية ضمن المادة الثقافية المقرحة والمنجزة خلال الموسم المنقضي ، وهذه التظاهرة جاءت لتجمع بين التلاميذ الأوائل في مادة الرياضيات بأقسام التاسعة أساسي والسابعة رياضيات بالمؤسسات التربوية بالولاية ( 108 تلميذ) اشرف عليها أساتذة مختصون طيلة يوم كامل كما انتظم على هامش هذه الأولياد معرضين علميين ( رياضيات بدون حساب ، الفلك السيار ) نشطهما أساتذة من مدينة العلوم بتونس ويمكن القول هنا أن هذه التظاهرة كانت فعلا تظاهرة متفردة حازت إعجاب وإقبال التلاميذ والأساتذة و الأولياء الذين عبروا عن تشجيعهم لكل هذه المبادرات وضرورة تبنيها ضمن مختلف البرامج الثقافية .

## 3 - تظاهرات ثقافية تكوينية

عند الحديث عن الجانِب التكويني في فقرات البرنامج المنجز لابد من ذكر الورشتين الهامتين اللتان انتظمتا بمدينة سليانة بالتعاون بين المندوبية الجهوية للثقافة ومعهد الفنون الجميلة ومركز فن العرائس بتونس فخصصت الأولى لتكوين هواة الفنون التشكيلية في ورشة نشطها على امتداد ثلاثة أيام طلبة وأساتذة من معهد الفنون الجميلة بتونس قدموا للمشاركة

من أبناء الجهة بالإضافة المرجوة والإحاطة الفنية والعلمية اللازمة في لقاءات اتسمت بالجدية والنجاحة .

أما الورشة الثانية فاهتمت بتكوين بعض الإطارات التربوية والمهواة في فن صنع وتحريك العرائس (20 مشارك) تحت رعاية وإشراف مختصين من المركز الوطني لفن العرائس بتونس كان لحضورهم الوقع الطيب على المشاركين في هذه الورشة لما وجدوه فيهم من حرفة عالية وإتقان متميز سهل على المشاركين استيعاب مختلف تقنيات صنع وتحريك العرائس في أوقات قصيرة .

#### 4- المظاهرات ترفيهية احتفالية

كان للجمهور الثقافي بولاية سليانة موعدا مع العروض الثقافية الاحتفالية والترفيهية ضمن فقرات برامج الدورة الثالثة لمهرجان الربيع والمهرجانات الصيفية الاثني عشر المنظمة بمختلف مناطق الولاية ما بين شهري جوان واوت 99 وقد تم خلال هذه المظاهرات تقديم 35 عرض موسيقي و 7 عروض مسرحية و 6 عروض متنوعة انتفع بها حوالي 31.060 متفرج نزلوا ضيوفا عن مختلف هذه العروض التي شكلت بحق الإطار الرحب لسهرات صيفية ترفيهية انتظمت بالهواء الطلق أضفت كثيرا من البهجة والمتعة على زوارها.

حلت هذه المظاهرات وغيرها من الأنشطة الأخرى في طياتها رهانات عدة يتمثل أبرزها في ضمان الحضور المكثف للجماهير المثقفة والشباب ومتابعيهم لها والانتفاع بمحتويات مادتها وتبرز الأرقام في هذا الصدد إقبال الأطفال بأعداد مكثفة على نصيبهم وحضور المرأة كل المواعيد الثقافية المخصصة لها ومتابعة جماهير مناطق الظل الأنشطة الموجهة لها بفضل ما جنته

المنشآت الجهوية للثقافة من قدرات مالية وبشرية وطرق تشييطية ودعائية مستحدثة لتحقيق الغايات الثقافية المرسومة وريح رهان حضور الجماهير ومتابعيها ومساندتها لمختلف الأنشطة الثقافية مما يسمح بالقول بأن كل هذه المظاهرات ولدت لتكبر وتكر لتدوم من أجل تثبيت عادة العمل الثقافي البناء وترسيخه لدى الجميع باعتباره أحد عناصر تحقيق التنمية المستدامة بالجهة وأحد أعمدة جسر العبور للألفية الثالثة.

إن معادلة النهضة الثقافية الشاملة لا يمكن أن تكتمل دون الاهتمام بجانب الخلق والإبداع ومصادرها لذلك سعت المنشآت الجهوية للثقافة للإحاطة بالجمعيات الثقافية والعناية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>





بالفرق الفنية والمواهب الثورية حيث تعددت في هذا المجال الإنتاجات الثقافية ( مسرحيات: تقديم اربعة عروض مسرحية من طرف جمعية مسرح الشمس بدار الثقافة ابن رشيق بتونس والقصرين... ، عروض موسيقية: حفل المنتخب الموسيقي في البرنامج التلفزيوني " ارضي وفاء بالوعود" ... ، معارض فنية: برهنت على إمكانيات عريضة وواعدة لمبدعي الجهة سوف تمكنهم من المساهمة حتما في الارتقاء بالعمل والإبداع الثقافي من المحلية إلى الوطنية وهي إحدى الغايات الكبرى للمشروع الثقافي الجهوي.

انطلاقا من أن العمل الثقافي مشروع لا ينتهي، يظهر أيضا أن المؤسسة الثقافية بالجهة مصرة على مزيد بذل الجهد واستفاد كل الطرق التشبثية ورصد كل الطاقات اللازمة إصرارا لا حدود له حتى تتوسع دائرة إشعاع القطاع الثقافي ويتعمق تأثيره الإيجابي في مسيرة التنمية الشاملة برسوع هذه الجهة .

## مجلة الاتحاف

- من جانفي 99 | اصدار 12 عدد من مجلة - الاتحاف - ( من جانفي الى ديسمبر 1999 )
- نوفمبر 99 | اصدار 12 عدد من نشرية القطاف الخاصة بالاطفال
- 14 ماي 99 | معرض لادبيات الاتحاف بمناسبة الذكرى 11 للتحول
- ندوة ادب المجالات - الدورة الثانية افتتحها السيد والي سليانة والكاتب العام للجنة تنسيق التجمع بسليانة وحضور مكثف لعدد الجوه الثقافية والجامعية البارزة في البلاد نذكر : الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب، حسن بن عثمان رئيس تحرير مجلة الحياة الثقافية ، الدكتور جمعة شيخة عن مجلة دراسات اندلسية والدكتور المنجي الشملي وعديد من الشعراء الشبان من مختلف اتحاء الجمهورية من رواد المرحلة .
- الاحتفاء بماثوية - الاتحاف - ( صدور العدد 100 ) بالتوازي مع ندوة ادب المجالات حضرها ممثل السيد وزير الثقافة ومدير ادارة الآداب الاستاذ عبد الوهاب الدخلي ( امسية شعرية بدار التجمع بالجهة ومداخلات اقلام تحرير الاتحاف ).
- 27 ماي 1999 | المشاركة في الندوة التأسيسية للمنتدى الثقافي الجهوي التابع للتجمع الدستوري الديمقراطي باشراف الاستاذ كمال عمران في شرح لخطاب سيادة رئيس الجمهورية في اليوم الوطني للثقافة.
- جويلية 1999 | لقاء حول مجلة الاتحاف بالقصرين ( جويلية 99 )
- لقاء حول - الاتحاف - بالدهماني ( ولاية الكاف )



# ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

